SHARIF

AL-IRADAH

Princeton University Library
32101 062266265

2274
.8757
.349

2274.8757.349
al-Sharif
al-Iradah

DATE

DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE

منير الشريف

الإرادة
سر تقدم العرب والأمم

بالارادة نحيي مجدنا
وننهض من كبوتنا
ونفرض وجودنا

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

صدر عن
« لجنة العبقرية العربية بدمشق »

كانون الثاني ١٩٥٠

مطابع ابن زيدون بدمشق

الارادة

سر تقدم العرب والامم

2274
.8757
.349

فهرس

صفحة

٥ ـ الارادة الجبارة :

٧ ـ ما هي الارادة ؟

الارادة الواعية ، الغريزة غير الواعية، درس الانفعالات النفسية، ما قاله سفيان الثوري ، الرغبة قبل الارادة ، ما قاله عمر بن الخطاب ، آراء علمـــاء الغرب ، التفاعلات الفيزيولوجية ونفسية المجتمع ، مرض الارادة ، فائدة الرقي الاجتماعي . ٧ ـ ١٣

١٤ ـ العرب و الارادة

ارادتهم الجبارة ، حبهم للطبيعة والادب ، تقشفهم وتضحيتهم للعلم والصناعة ، فتوحهم قبل الاسلام وبعده ، عملهم في العمران ، العرب في العهد الاسلامي . ١٤ ـ ٢١

٢٢ ـ النبي محمد (ص) في الميدان

محمد (ص) العظيم ، فكرته العالية ، محمد والرسالة ، بعض اعماله للنهوض الاجتماعي والاخـــلاقي ، حروبه ، قصده جر الروم الى البادية ومنازلته لهم هناك ، بعض ما قاله العلماء عن محمد ، ماقاله شوقي فيه . ٢٢ ـ ٢٩

٣٠ - ابو بكر

قيامه بوجه الانصار لمصلحة العرب ، محاربته لاهل الردة ودهاؤه وحزمه ، فتوح سورية والعراق ، ما قاله شوقي فيه . ٣٠ - ٣٣

٣٤ - عمر بن الخطاب

ادارته وتنظيمه ، عمر والاشعري ، عمر والوفود ، عمر والحرية ، عمر والرهبة ، عمر وعامله ، عمر والعدالة ، ابن عباس وعمر ، عمر والعفة ، عمر وارادته ، عمر والاقتصاد ، عمر والعمران ، ما قاله شوقي فيه . ٣٤ - ٤٠

٤١ - عثمان بن عفان

عثمان وأخلاقه ، فتوحه ، عثمان وفكرته بفتح القسطنطينية عن طريق الاندلس ، شيخوخته و رفضه الاستقالة ، حاجة الامة الى خليفة معتدل السن . ٤١

٤٢ - علي بن ابي طالب

علمه ، حزمه ، ايمانه ، شجاعته ، خلافته ، حبه للعروبة وارادته ، جيوشه في كردستان والهند ، بعض اقواله الحكيمة ، نفسيته ، ما قاله شوقي فيه . ٤٢ - ٤٥

٤٦ - خالد بن الوليد

بطولته وارادته، في مؤتة ، في حرب أهل الردة ، في فتح العراق والشام ، ما قاله شوقي فيه . ٤٦ - ٤٩

٥٠ - سعد بن ابي وقاص

شجاعته ، حربه في العراق ، ما قاله عمر له ، عمرانه . ٥٠ - ٥١

٥٢ - الزبير بن العوام

بطولته ، في وقعة الخندق ، في مصر ، ارادته ، ما قاله شوقي فيه . ٥٢ - ٥٣

٥٤ - أم سلمة زوجة النبي (ص)

حزمها وعقلها الراجح ، هي وعائشة ، هي وعلي ، تقديم ابنها ليحارب مع علي ، ارادتها . ٥٤ - ٥٥

٥٦ - خولة بنت الأزور

شجاعتها ، وقوة ارادتها ، بطولتها عند فتح الشام، عملها لتخليص أخيها . ٥٦

٥٧ - المثنى بن حارثة الشيباني

بطولته، فكرته في فتح العراق، معركة النهر ، في وقعة البويب، يوم الخنافس ، تفكير المثنى وارادته ، حبه للعروبة ، ما قاله للمترددين . ٥٧ - ٦١

٦٢ - حبيب بن مسلمة الفهري

شجاعته ، وتفكيره ، وبطولته ، فتوحه لارمينية ، العرب في القفقاس ، حبيب الوالي ، حبيب المخطىء . ٦٢ - ٦٣

٦٤ - أم عبد الله الكلبية

شجاعتها ، ارادتها ، حربها مع زوجها حبيب الفهري . ٦٤

٦٥ - معاوية بن ابي سفيان

دهاؤه ، ذكاؤه ، معاوية ضد علي ، خلافة معاوية ، فتوحه ، دهاء معاوية وارادته ، ما قاله الاخطل وشوقي فيه ٦٥ - ٦٨

٦٩ - عقبة بن نافع
حزمه وارادته ، فتوحه في افريقية ، ميله للعمران ، باني القيروان ما قاله المؤلف الافرنسي فيه ، هو أعظم من رومل . ٦٩ - ٧٠

٧١ - عمرو بن العاص
دهاؤه ، ارادته ، حسن ادارته ، فتحه لمصر ، اعماله العمرانية ، ما قاله شوقي فيه . ٧١ - ٧٢

٧٣ - عبد الله بن الزبير
شجاعته ، عزته ، مخاطراته ، طموحه ، دهاؤه ، خلافته . ٧٣-٧٥

٧٦ - عبد الملك بن مروان
ذكاؤه ، الاخطار التي كانت حوله ، حزمه ، هو والاشدق ، هو وابن الزبير ، هو والروم ، طموحه ، دهاؤه ، وارداته ، تعاهده لولاته ، من جميل اعماله ، هو أستاذ بسمارك ، ما قاله شوقي فيه . ٧٦-٨١

٨٢ - الوليد بن عبد الملك
حزمه ، وارادته ، فتوحه للهند وغرب الصين والاندلس ، عمرانه ، ما قاله شوقي فيه . ٨٢ - ٨٣

٨٤ - الحجاج بن يوسف الثقفي
اعماله ، محاربته لغير العرب ، دهاؤه وارادته ، عمرانه ، تشتيته للشعوبيين . ٨٤ - ٨٥

٨٦ - محمد بن القاسم الثقفي
دهاؤه وارادته ، فتحه للهند ، حسن ادارته وعمرانه ، حكومة باكستان تحيي اسمه . ٨٦ - ٨٧

٨٨ - موسى بن نصير

دهاؤه وحزمه ، حسن تفكيره ، فتحه للاندلس ، رغبته في فتح روما. ٨٨ - ٩٠

٩١ - قتيبة بن مسلم الباهلي

شجاعته وارادته ، فتوحه في اطراف سيبيريا الروسية ، وغرب الصين، دهاؤه، هو والخليفة سليمان بن عبد الملك ، ما قاله جورج سوليه عنه . ٩١ - ٩٤

٩٥ - عبد الرحمن الغافقي

ولايته على الاندلس ، علمه ودهاؤه ، توغله في فرانسا حتى نهر الوار، قصده فتح اواسط اوروبا ثم الهبوط الى القسطنطينية. ٩٥

٩٦ - عبد الرحمن الداخل الاموي

ذكاؤه وحسن تفكيره ، تخلصه من السفاح ، اعماله في الاندلس ، ماقاله المنصور عنه، ماقالهو عن نفسه، ماقاله شوقي فيه. ٩٦-٩٩

١٠٠ - ابو جعفر المنصور

حزمه ، حسن ادارته ، ارادته ، فتكه بالاعاجم ، دهاؤه ، فتوحه، ما ينكر عليه . ١٠٠ - ١٠٢

١٠٣ - هارون الرشيد

ادارته ، رفعه لشأن العلماء والادباء ، قتله للبرامكة ، هارون والروم والثورات ، ارادته . ١٠٣ - ١٠٥

١٠٦ - المأمون

قتله للفتنة ، حربه مع الروم ، ميله للعلم والعلماء ، عدله ١٠٦-١٠٧

١٠٨ - محمد المعتصم

بطولته ، ارادته ، عمرانه ، بناؤه لمدينة سر من رأى ١٠٨-١٠٩

١١٠ - المغيرة بن شعبة

تفكيره ، ادارته ، فتوحه .

١١٠ - ضرار بن الازور

بطولته ، عند فتح سورية ومصر .

١١١ - عبد الله بن ابي سرح

ادارته ، فتوحه ، تفوقه في البحر

١١١ - عبد الله بن عامر

حربه ، ادارته ، فتوحه

١١١ - الاحنف بن قيس

حكمته ودهاؤه ، بطولته في الحروب ، اخلاصه لعلي .

١١٣ - ما الذي أضاع قوة ارادة العرب ؟

الوراثة ، تأثير الشعوبيين ، ضياع دولة العرب ، الحكام الغرباء وأعمالهم ، ما قاله الاستاذ احمد حسن الزيات ، والاستاذ محمد عبد الله عنان ، وشمس الدين سامي التركي ، وسليمان نظيف التركي ، ونامق كمال التركي ، ومحمد شرف التركي ، والمؤرخ احمد رفيق بك التركي ، ما قاله النبي (ص) عن العرب ، مهاجمة الشعوبيين لبلاد العرب ، ماقاله المتنبي عن بلاد العرب ، ضرر اختلاط دم العرب بغير العرب ، ضرورة انتباه العرب .

١٢٣ - الاوربيون والامريكيون والارادة :

الاوربيون والامريكيون ودورهم في الحياة ، ماقاله الفيلسوف سويت ماردن ، فائدة ماقاله .

١٢٩ ما قاله جون ديوي ، ماتيوس ، امرسن ، غلادستون

١٣٠ - ما قاله لودندورف ، نابليون ، ويلب ، ميرابو ، ديزرائيلي ، هنري بوشر

١٣١ - ما قاله ملتن ، فرانكلين

١٣١ - ما فعله نابليون ، جيدون بي ، بلزاك ، اميل زولا ، نور ثقليف ، هاردنغ ، كارنجي ، كلارك ، زيموراي ، بلات لنكلن ، تشرشل .

١٣٦ - كيف تقوى ارادة العربي ؟

عليه باستخدام ارادته وتقويتها ، بتقسيم العمل ، العمل الكثير ، قراءة أحسن مايكتب عن الارادة ، بالتفكير ثم التنفيذ ، تجنب معاشرة المترددين ، الاعتقاد ان السعادة في العمل ، والشقاء في الكسل ، الصدق في الوعود ، القيام بحق النفس والجسم ، الجد ، الوثوق بالنفس ، التعليم ، واجب الحكومات العربية ، منع التزاوج بين العرب والغرباء ، الابتعاد عن روح التشاؤم ، جعل الارادة بارزة في أقوالنا وأفعالنا .

١٣٨ - صفوة القول

ما يأمله العرب ، من الارادة ، وكيف نصبح أمة قوية محترمة .

تمهيد

الارادة الجبارة

الارادة ، هي أثمن ما يتحلى به الانسان في دنياه ، وأعظم منحة إلهية للبشرية ، تفوق كل المنح ، لانها أساس النجاح في العالم ، حيث تسيطر على الأعمال الكبيرة فتسيّرها أنى شاءت ، وعلى القوى البشرية ، فتجعلها تقوى على كل أمر .

لولا الارادة ، لما نشط الانسان في حياته ، وعمل المعجزات تحت قبة سمائه ، ولما استخدم هوامد الارض والجبال والمستنقعات ، وجعلها تخرج نباتها ، وغلالها ، وفواكهها ، فتحيي الانسان والحيوان ، وتزيد في النفوس زيادة ملأت الخافقين .

ولولاها لما تغلب الانسان على الامراض والعاهات ، وجعل اسوأ الاماكن مناخاً أحسنها للصحة والهناءة ، وفتح الاجسام ، وفصل عنها ما هو ضار بها ، فبرأها من كل ألم ومرض (باذن الله) .

ولولاها لما اتصلت البحار بعضها ببعض ، ومخرت البواخر الشمخ ، في عبابها وتقاربت القارات ، ولما خرجت مياه الانهار من مجاريها ، فأحيت الأرض بعد موتها .

ولولاها لما رأينا الطائرات في الأجواء ، تدور حول الكرة الارضية ، وتصل الى أي مكان يريده سائقها ، ولما ظهرت الكهرباء ، والصور المتحركة ، والحاكي ، والسيارات ، وآلات الطباعة ، وأدوات المعامل ، التي أصبحت من ضروريات الحياة .

ولولاها لما ظهر العلماء ، فأتوا بأعاجيب علمهم ، فخلقوا للانسان حياة جديدة ، غير حياة الأوهام والأحلام ، والأقاصيص والترهات ، ولما لمعت الصناعة ولا انتشرت التجارة ، ولا كثر المال ، ولا رغب الانسان في العمران في هذه الحياة .

ولولاها لما ابتدعت القوانين والانظمة ونفذت ، وخلقت دواوين الحكومة ، للقصاص والعدل ، ولما انتظمت حياة الأسرة .

ولولاها لما نجح قائد في المعارك ، فشرف أمته ، ولا نابغة في فنه ، فاهدى الى قومه ما يرفع رأسهم ، ولما ظهر التوازن الدولي ، وقلت الحروب في العالم ، وأمن الناس على حياتهم وأموالهم ، واستقرت الأعمال في أنظمتها وتواميسها .

وقد قال كونفوشيوس عنها قديماً : « اني اعرف ان الماس يقطع الماس ، ولكني لا أعرف شيئاً يقطع قوة الارادة » .

وقال عنها أمرسن : « ان قوة الارادة سر النجاح ، والنجاح غاية الوجود » .

هذا ما جعلني ابحث عن الارادة في كتابي هذا ، مبيناً كيف تخلق وكيف تموت : وكيف تبعث مرة أخرى ، ومن هم رجال الارادة في العرب وفي العالم الغربي وما هي أفعالهم ، وأقوالهم ، ليكون من ذلك منبه للعرب الذين يتمتعون اليوم ، والحمد لله ، بالسيادة والاستقلال ، وحافز لشباب العرب ، ليفعلوا كما فعل آباؤهم ، وليصلوا الى قمة المجد التي تنتظرهم منذ عدة قرون .

منير الشريف

ماهي الارادة ؟

الارادة هي حاكمة على كل شيء ، بل هي كل شيء ، فمنها ما يكون موهبة موروثة ، تأتي الانسان من غير أن يعلم ، فتعلمه وتثقفه ، وتغنيه ، وتجعله بطلاً من ابطال العالم ، في كل عمل قائم به ، ومنها مايأتي الانسان بالمران ، فيعتاد على ترتيب حياته بما يقرأه من الكتب ، أو من المحيط الذي ينشأ فيه ، أو من المدارس التي تثقفه ، فيكتسب أحسن عادات الناس ، ويسير على غرارهم ، ثم يورث هذه المكتسبات الى أبنائه وأحفاده ، وعندها تصبح ملكة في الأحفاد ، فيتحكمون في العالم ، بمايؤتونه من الخوارق والعجائب .

الارادة الواعية :

والارادة الواعية هي حالة خلقية ، تنظم نفسية المرء فتخرجه من التردد في حياته الى العمل ، ومن الشك الى اليقين ، ومن الخوف الى الطمأنينة ، وتجعله يتصور الأمور التي تهمه ، ويفكر فيها تفكيراً صحيحاً ، قبل العمل ، ثم تسوقه الى العمل بتعقل ، وبذلك يفرق بين الخيال والحقيقة ، فيرى الخيال ، وما فيه من الأحلام الذهبية الخلابة ، فيبتعد عنه بدافع من إرادته ، ويقبل على الحقيقة الواقعية ، التي بدت له ، بنورها الوضاء .

الغريزة غير الواعية :

قد تظهر في بعض الناس ، ارادة في تنفيذ أعمال بسيطة أوهامة ، ولكنها ارادة يسير معها الجهل وقلة التفكير ، لذلك فهي ليست بارادة ، بل غريزة غير واعية تهدم الأفعال العقلية ، بدون روية ، وهذه البواعث النفسية

الغريزية تلحق بالمرء بتأثير الوراثة ، أو البيئة أو التربية غير الناضجة ، أو الجهل وقلة الاختبار ، فيعتقد بصحة ما فكر به ثم ينفذه ، وعندئذ يصاب هو أو ما حوله أو بلده ، أو شعبه بأنواع الأسواء وتكون المصيبة ، فاجعة من فواجع الدهر . ان عمل هذا المرء ، ليس بالفعل الارادي الصحيح بل بالعاطفة وهذا ما عناه الشاعر بقوله :

يقضى على المرء في أيام محنته حتى يرى حسناً ماليس بالحسن

والشاعر الآخر :

ومضعف الرأي مضياع لفرصته حتى اذا فات أمر عاتب القدرا

درس الانفعالات النفسية :

وفي الحق ، يجب علينا أن ندرس ونمحص الانفعالات النفسية ، عندما تظهر بعد ابعاد العاطفة ، والحساسية الوهمية ومؤثراتها ، لان هذه الانفعالات النفسية قد تكون عالية ، وقد يكون المنبه لها : العقل الراجح ، والشعور نحو الأعمال الضرورية للمرء والمجتمع ، وعندئذ تظهر الارادة ، وتبدأ عملها ، بدقة وحكمة وثبات ، وبذلك يكون النجاح ، واذا لم تكن تلك الانفعالات عالية ، فعلينا أن نتجنبها .

ان عوامل الغريزة ، أو العاطفة ، أو الميول ، او تأثيرات البيئة أو التربية ، ان لم يدعمها العقل ، ويمحصها ، صدرت عنها أمور ، لاتكون في مصلحة الأفراد ، أو الجماعة كما قلت ، وعندئذ تسوء حالة هؤلاء ، وتصبح اعمالهم مصيبة عليهم وعلى مجتمعهم . وقد قال أحد فلاسفة الفرنسيين :

« السلطة مع الجهل شديدة الخطر »

أي ان من يكون صاحب سلطة ، ويعمل بدون ارادة عاقلة ، يكون خطراً على نفسه وعلى المجتمع .

ماقاله سفيان الثوري :

وقد جاء في كتاب الامتاع والمؤانسة ، لأبي حيان التوحيدي ، أن سفيان الثوري قال : « نعوذ بالله من فتنة العالم الفاجر ، وفتنة القائد الجاهل » أي أن ذلك العالم الذي يفجر ، لايكون ذا ارادة عاقلة ، كما ان القائد الجاهل يكون ذا سلطة ، فاذا استخدم سلطته بعاطفة غريزية وجهل ، فانه يبلي جنوده بأنواع البلاء ، وتصاب بلاده بالخذلان . وقول الثوري هذا يشبه قول الفرنسي الآنف الذكر ولكنه أوسع . وقد يكون الفرنسي وجد هذه الحكمة ، في كتب العرب المترجمة فتبناها .

الرغبة قبل الارادة :

وعليه يجب أن يسبق فعل الارادة رغبة ، وقد تكون هذه الرغبة منبعثة عن العقل ، أو عن الغريزة ، أو عن مؤثرات البيئة أو التربية ، أو العاطفة ، ولكن الارادة العاقلة ، تميز بين هذه البواعث ، فتختار الأنسب ، وعندئذ تسير في طريق سوي . وقد قال العالم بودان الفرنسي : « ان الرجال الكبار الحقيقيين ، كانوا من أقوياء الارادة ، وكانوا أساتذة تفكيرهم ومقرراتهم ، وكل شجاعتهم الروحية والجسدية » (من كتابه « علم النفس » بالفرنسية طبعة سنة ١٩٣٧ ص ٥٨٣)

لذلك كان علينا أن نفكر تفكير عميقاً ، في الرغائب التي تظهر فينا قبل البدء بالتنفيذ لتكون الارادة العاقلة ، هي التي تسيطر على أعمالنا .

ماقاله عمر بن الخطاب :

وقد قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رض) الرجال ثلاثة :

١ – رجل ينظر في الأمور قبل أن تقع ، فيصدرها مصدرها .

٢ – ورجل متواكل ، لاينظر ، فاذا نزلت به نازلة ، شاور أهل الرأي

وقبل قولهم .

٣ – ورجل بائر ، لا يأتمر رشداً ، ولا يطيع مرشداً ، (عن البيان والتبيين للجاحظ الطبعة المصرية سنة ١٩٢٧ ج ٣ ص ١٧٢)

لهذا فاذا لم تسيطر تلك الارادة على أعمالنا فليست بالارادة الصحيحة .

علماء الغرب :

وقد بحث بعض الفلاسفة الغربيين قديماً الارادة ، بحثاً دقيقاً فقالوا بأن الأعمال الخاطئة تأتي عن الجهل ، والأعمال الطيبة تأتي عن العلم ، ولذلك لا يصرون بان الارادة هي العقل ، ومن هؤلاء ديكارت .

بيد انه يوجد بعض فلاسفة غربيين آخرين يقولون غير ما يقوله هؤلاء ويصرون على أن الارادة هي جزء من العقل ، وهي ملازمة له دوما ، ومن هؤلاء بول لابي ، وسبينوزا .

ومن العلماء الغربيين من يقول ان الارادة ، هي قوة مستقلة عن غيرها ، وهي تظهر عند ما يكون ثمة رغبة في العمل ، ومتى ظهر العقل الارادي ، يحكم عليه عندئذ بأنه نشأ عن عاطفة وميول غريزية ، أو عن عقل راجح ، اذا كان صاحبه قد كبح جماح هواه العاطفي ، و كان عمله صادراً عن حكمة وروية .

ومن العلماء الغربيين : باوندل الذي يقول ان المجتمع له دخل كبير في تنظيم ارادتنا ، هذا مع عدم نكران المؤثرات الفيزيولوجية ، والنفسية في العقل الارادي .

وفونديللاك يقول : ان الارادة ماهي الا رغبة فائقة ، يظهرها الانفعال المتسلط على المرء .

وبودان يعين الرغبة بانها أمر محتوم ، بينما الارادة هي حرة

وهنا يمكن القول ان الارادة قد تتكون في بعض الاحيان من روح المجتمع ، والتربية التي نشأ عليها المرء ، اذ لهذه تأثير كبير على شخصيته

الكامنة ، فتظهرها ، وتدفعها الى العمل بعد تحليل الامور ، وبذلك يكون عملها صالحاً .

كما أن العوامل الفيزيولوجية ، هي من المؤثرات الكبيرة في الفعل الارادي ، لذلك نجد انسانا يعمل تحت مؤثرات خفية فيه ، يمكن أن نرجعها الى بواعث فيزيولوجية في جسمه ، قد أثرت على دماغه ، واظهرت إرادته .

التفاعلات الفيزيولوجية ، ونفسية المجتمع :

اذن فالارادة هي من تفاعلات فيزيولوجية : للآباء تأثير كبير فيها ، ونفسية : للمجتمع والتربية دخل فيها ، مع تربية الآباء أيضاً ، لان النفسية هي من تربية الوالدين ، ومن مكتسبات المجتمع ، فاذا كانت التفاعلات الفيزيولوجية ضعيفة في انسان ما : واذا كانت نفسيته قد أتته من آباء ضعاف العزائم والتفكير ، ومن مجتمعه اذا لم يكن سائراً بعقل وحكمة ، وكانت الغريزة والعاطفة هي المؤثرة عليه ، فان الفعل الارادي الذي ينشأ عنه ، قد يكون مضراً للمجتمع وله ، وذلك كما أوضحته آنفاً ، لان مثل هذا الضعيف الارادة : مشتت الفكر ، متردد ، يهدم اليوم مابناه بالأمس أو يبني اليوم ما هدمه في سنة ، فتراه يتطور بحسب الاشخاص والمحيط ، والزمان ، ثم يتكيف على فساد ، لذلك فان ما يكون قد قرره ، ويريد تنفيذه ، يكون واهياً ، لا حكمة فيه ، وضرره ظاهراً ، ولكن بعين غيره ، لابعينه .

وترى هذا الانسان في بعض الاحيان يتكلم بألفاظ مرتبة وعبارات منسجمة ، حتى لتظنه حكيم زمانه ، ولكنك اذا حللت أقواله ، وقارنت بينها وبين أفعاله ، تجد بونا شاسعاً بينهما ، وتجده آنئذ ماهو الا ببغاء ، عقله في أذنيه ، أو آلة تصوير تصور مايتراءى لها .

وكل ذلك من ضعف الارادة ، بل مرض الارادة .

مرض الارادة :

ومرض الارادة هو نوع من الجنون الخفي في المرء ، لايظهر في كل حين، ولا يعلم به الا العلماء الاخصائيون ؛ فترى المريض : تارة يضحك لأقل سبب وتارة يبكي بدون سبب ؛ وتارة يريد أن ينال ثروة العالم ؛ فيقوم بمشاريع لاقبل له ولغيره بها ، ويجدّ في حياته بصورة مستديمة، بينما قد يكون تقدم في السن ، وليس له ولد يورثه ما يجمعه من المال او له ولد واحد ، وتارة يهدف الى صوفية بعيدة عن المال وترف الحياة ، وعن المجتمع أيضاً .

ومريض الارادة ، اذا صدم من قبل اشخاص ، تهدم وضاع كل نشاطه وفقد تجلياته ، فاذا كان خصمه قويا ، وثابر على مصادمته بحجج قوية ، ولا يتركه ينقذ نفسه من صدمة ، حتى يرميه بأخرى ، فعندئذ يخشى على هذا المريض أن يتلاشى ، وأن يصاب بامراض عصبية تهز دماغه ، وتكون العاقبة وخيمة عليه .

وفي الواقع اذا درسنا نفسيات ذوي المراكز الكبيرة في العالم، نرى فيهم من يتمتع بقوة ارادة حديدية ، أتته بها الطبيعة ، أو اكتسبها من حيث لا يدري، ولكن تنقصه قوة التفكير ، ولذلك تراه ، يقع في الخطيئات التي لا تبقي عليه ولا تذر ، بمجازفاته وعناده ، واذا أتى عملاً حسناً مرة ما ، فانه يستجلب محبة أمته له ، فيتمكن من عواطفها ، فتوصله الى أعلى مقام فيها ، وحينئذ يرهقها بعناده وفساد رأيه ، ويستبد بها ، ويستقل بعمله ، فتضنيها موصرات آثامه ، ويوقع بين رجالها فترى منهم المحبذ له ، لأنه مقرب منه ، ومنهم المعاكس ، الذي رأى صبح الحقيقة ، وعواقب الأمور ؛ ولربما جر أمته ، بسوء رأيه ، الى معاداة الامم الأخرى ، فتقع الوقيعة بين الطرفين ، وبذلك يورد أمته موارد الحتوف (كما فعل هتلر وموسوليني ، وكما كان يفعل حسني الزعيم ، وحكومته الخرفاء ، وأيضاً بعض رؤساء ، في بلاد العرب عامة ، وفي سورية ولبنان خاصة ، منذ ست سنوات)

فقوة ارادة هؤلاء بلية وليست رحمة ، ومن الضروري أن يكون بجانبهم أشخاص امتازوا بقوة التفكير والثبات ، فيوحوا اليهم بالآراء السديدة ، ويرسموا لهم الخطط التي تقيهم العثار .

فائدة الرقي الاجتماعي :

لذلك كان على الانسان أن يرقى اجتماعياً ، لان الرقي الاجتماعي ، له التأثير القوي في نفسية الانسان ، وقد يكون عاملاً في بعث قوة الارادة ، والثبات ، والنشاط فيه ، فيدرس المسائل بعقل راجح ، حتى اذا ظهرت له الحقيقة ، من وراء الأفق ، وأيقن بها ، يقرر الخطة المناسبة ، التي لا شك ولا ابهام فيها ، وعندها يستخدم ارادته في تنفيذ ما قرره ، ولربما خلقت الظروف عوائق له ، وتفجرت براكين المعاكسات حوله ، ولكن ارادته القوية تظل سائرة في طريقها ، فتارة تخترق جبهات المشكلات ، وتارة تتراجع أمامها ، وتارة تفوز ، وتارة تغلب وتقهر ، ومع ذلك تبقى مثابرة على عملها الى أن ينبلج فجر النجاح ، من بين طبقات الغمام المدلهمة ، وحينئذ يسخر الرياح العاصفة فتشتتها في الآفاق ، وتجعلها طلاً تسقط على الارض فلا يعلم بها أحد .

وقد يرى القارىء في هذا الكتاب : رجال الارادة في العرب وفي الغربيين ، وما قالوه وما فعلوه .

العرب والارادة

لم تكن قوة الارادة عند العرب – قبل الاسلام وبعده – بأقل منها عند الغربيين المتأخرين ، بل كانت أقوى مما هي عند هؤلاء ، يدلك على ذلك آثارهم التي أبقوها لابنائهم ، بما فتحوه من البلاد ، وما وصلوا اليه من الصناعة أو العمران ، وما الفوه من الكتب، ونبوغهم في الادب العالي ، وعلم الطب، والفلسفة ، والاجتماع ، فكانوا أنوار الهدى وشموس العلم المشرقة .

كان العرب كالاطواد في ميادين الوغى لايزحزحهم عن مكانهم الا النصر المبين، وملاحقة أعدائهم المدبرين ، وكانوا اذا فكروا في أمر وقرروا تنفيذه ، لا يلويهم عنه شيء كانهم نهر عجاج ، ينحدر من مكان عليّ ، الى قعر الوادي ، فيهدم ما في طريقه من الصروح ، ويقطع الاشجار ، ويقتلع الصخور ، ويقذف بها الى قعر الوادي .

وكانوا يركبون مطايا النوى فيجوبون الآفاق طلبا ، رغبة في درس ما عند سكان البلاد من صناعة وعلم ، والطرق التي تسهل الى جيشهم الوصول اليها ، والسيادة عليها .

حبهم للطبيعة والادب

وكانوا يسمرون في الليالي المقمرة ليريحوا أنفسهم من العناء ، ويأوون الى الجبال الشمخ لينعموا بهوائها ومائها ، ويمتعوا أنظارهم بالآفاق النائية ، ويهبطون الاودية ذات العيون المتفجرة ، ويتفيأون ظلال دوحاتها، ويجوبون السهول الواسعة يتنزهون في رياضها ، وبهارها، ليستوحوا آلهة خيالهم ، ليأتوا

بما عز على غيرهم من بدائع الشعر المهلهل : وآيات الحكمة الرائعة .

تقشفهم وتضحيتهم للعلم والصناعة

وكانوا يبيتون على الطوى ، ويضنون أجسامهم ، ويزهقون أرواحهم ، من كثرة انعكافهم على التحذق في الصناعة ، والفنون الجميلة ، والتحري على ما ينفع الناس ، ويحفظ عليهم حياتهم ، من الحشائش والمواد النافعة ، والقيام بالعمليات الجراحية المفيدة ، وتأليف الكتب العلمية والادبية القيمة ، التي رفعتهم الى أعلى عليين ، وجعلتهم سادة على العالمين ، ومكنتهم من معادن الذهب الوهاج ، والجواهر المتلألئة ، وخلقت الرهبة والاحترام لهم ، في البلاد التي افتتحوها ، وبين الامم التي وصلت اليها تواليفهم ، وكواكب مدنيتهم ونبوغهم ، وعبقريتهم .

وكانوا يحملون ما أنتجته قرائح صناعتهم الى اطراف المسكونة ، يبيعونه فيها ، ويأتون بما هناك ، لا تهمهم الطرق الصعاب ، والبلاد وما فيها من الامم المختلفة الاجناس ، والاعداء الذين ذهب ملكهم ومجدهم ، تحت سنابك خيولهم .

وكانوا ينزعون شهوات نفوسهم عند جمحاتها ، ويبتعدون عن كل ما يضر بقومهم وبغيرهم ، كل ذلك من قوة ارادتهم التي لم يخلق مثلها في أمة ما .

فتوحهم

قال العرب القدماء بدخول مصر فدخلوها سنة ٣٤٠٠ ق. م. وأسسوا الأسرة الاولى والثانية فيها التي مكثت ٥٣٢ سنة .

ثم قال العرب العالقة (الهيكسوس أي الرعاة) بفتح مصر سنة ١٥٧١ قبل المسيح فكان ذلك ، وأسسوا الاسر : الخامسة عشرة ، والسادسة عشرة ، والسابعة عشرة ، وجعلوا يسيطرون على النيل ومنابعه ، وعلى أخصب أرض في العالم آنئذ ، مدة تزيد عن الخمسة قرون .

وقالوا بغزو المغرب في زمن ملكهم افريقس بن أبرهة الرايش من ملوك اليمن ، فكان ذلك حتى وصلوا الى طنجة ، ونقلوا الى هناك بعض أهالي فلسطين ومصر والساحل (المعارف: لابن قتيبة ص٢٧٢) وابثنى هناك مدينة سماها افريقية ، اشتق اسمها من اسمه ، ونقل اليها سكانا ، فأصبحت المدينة التي ينزلها سلطان ملك الاصقاع وعظماؤها (الاخبار الطوال: للدينوري ص١٥).

وقال ابن خلدون عن ابن حزم: ان الذي ذهب الى افريقية هو أفريقس ابن صيفي الحميري ، وقد ذهب بقبائل العرب الى افريقية وبه سميت ، وقال انه هو الذي سمى البرابرة بهذا الاسم ، والبربرة في لغة العرب هي اختلاط أصوات غير مفهومة ، ومنه بربرة الاسد (تاريخ ابن خلدون ج ١ ص ٧٨ ، وفتوح البلدان للبلاذري ص ٢٣١) .

ولما رجع افريقس من المغرب ترك هناك من قبائل حمير : صنهاجة وكتامة ، فهم الى الآن بها ، وليسوا من نسب البربر ، قاله الطبري والجرجاني والمسعودي وابن الكلبي وجميع النسابين . (ابن خلدون ج ١ ص ٧٩) .

وقالوا بالامبراطورية العربية ، وتدمير الامبراطورية الرومانية في الشرق فكان ذلك ، في زمن الزباء سنة ٢٦٧ — ٢٧١ م فانقذت سورية من استعمار الرومانيين ، وافتتحت مصر ، كما افتتحها آباؤها ، واستولت على كل بلاد آسيا الصغرى تقريباً (تاريخ الرومان لمالي واسحاق بالفرنسية ص ٣٧٨) ، لكي تجعل بينها وبين روما : ميادين للحروب ، ليست في بلادها ، ولكي تنعم بما فيها من الخيرات وترف الحياة .

وقالوا بقهر العجم والتخلص من غطرستهم واستعبادهم ، فتجمعوا في موقع ذي قار قبل دعوة صاحب الرسالة محمد (ص) ، تحت راية العروبة وفيهم المسيحي والوثني وعابد النيران ، ونازلوا العجم في تلك البطاح ، فانجلت المعارك عن فوز العرب على العجم ، وغلبة الحق على الباطل .

وتغلبت الأحباش على بلاد اليمن ، ولكن العرب ما اكتحلت عيونهم

بغمض ، وما ذاقوا الراحة ، حتى نهضوا تحت رئاسة سيف بن ذي يزن وأجلوهم عن بلادهم ، وعادت اليهم حريتهم (الاخبار الطوال: للدينوري ص ٦٢ — ٦٤) .

ولما ظهر النبي محمد (ص) لم يكن لديه الا رسالة الله تعالى وقوة ارادته التي تدك الجبال الرواسي ، وترفع الوهاد فتجعلها جبالاً ، وتفجر من بطونها، انهاراً، فتحيي الميت من الارض، لتقوم فيها الرياض اليانعة، والجنان الزاهرة، فوحد العرب وجعلهم أسياداً في بلادهم ، وسادة على غيرهم ، فكانوا أشرف أمة في مشارق الارض ومغاربها ، وعماد العلم والفخار .

لقد فكر العرب في إنقاذ السوريين والعراقيين العرب من المستعمرين البيزنطيين والعجم، فأرسلوا اليهم شيبهم وشبانهم وشاباتهم في سني (١٣-١٧ و ٦٣٤ — ٦٣٨ م) على متون قوة ارادتهم وايمانهم ، فلم يتركوا لتلك الدولتين — في آن واحد — أثراً في هذين القطرين ثم هاجموهما في عقر داريهما، فانزلوا بهما البلاء المبين، ثم تم لهم فتح بلادهما والتوغل في ما وراءها ، الى أن بلغوا مطلع الشمس .

وفكروا في الاستيلاء على بلاد مصر ، لما بينهم وبين أهلها من الصلة والقرابة القديمة ، فهاجموها سنة ٢١ هـ بخمسة عشر الف وخمسماية جندي ، وافتتحوها مع ان سكانها كانوا قرابة الثمانية عشر مليوناً ، ولم يكتفوا بذلك بل داوموا على الفتح فافتتحوا كل افريقية الشمالية ، بل أواسط إفريقية .

وفكروا في التوغل في بلاد آسيا ، فوصلوا الى ما صبت اليه نفوسهم ، فافتتحوا الهند سنة ٨٦ هـ وافتتحوا غرب الصين سنة ٨٧ هـ وفرضوا الجزية على ملكها ، وبذلك دانت لهم الدنيا الأسيوية ، وأصبح علمهم يرفرف على أعالي حصونها و هضابها وجبالها .

وفكروا في افتتاح بلاد الاندلس، فافتتحوها سنة (٩٢ هـ ٧١١ م) ، ثم توغلوا في بلاد أوروبا الجنوبية لايهمهم تألب الاعداء عليهم ، ولم يعبأوا بالثلوج

فنالوا مأربهم من المجد والسؤدد في تلك الاصقاع النائية .

وارادوا الاستيلاء على اوروبا ، فوصلوا الى مصب نهر الوار (فرنسا) سنة ٧١١م ومصبه عند مدينة سان نازير ، وفي سنة ٨٣٨ م هاجم الاسطول العربي ثغر مرسيليا (جنوب فرانسا) ، ثم توغلوا سنة ٨٥٠ م في جنوب فرانسا ، وفي سنة ٨٩٠ م أصبحوا السادة هناك ، وصاروا يستثمرون الاراضي ، وقد احتلوا مدينة غرينوبل (التي تعلو سطح البحر ٢٠٨٧ متراً) ، وقد عبروا جبال الالب من أراضي فرنسا وايطاليا ، وفي سنة ٩٣٥ وصلوا الى اواسط سويسرا ، ثم الى بحيرة كونستانس (شمال سويسرا) ، وامتدت فتوحهم الى بحر الادرياتيك فاحتلوا مدينة تارانت ، وباري، ومدناً ايطالية كثيرة (عن المؤرخ الفرنسي رينو Reinaud) ولا تزال آثارهم بارزة هناك . ولم تخلص روما من محاصرتهم لها سنة ٨٤٦ م

لقد عملوا العجائب في الفتوح ، وبهروا العالم أجمع ، وجعلوا أعلامهم العربية ترفرف على بلاد يقطنها اليوم ، ثلاثة أرباع سكان العالم . هذه هي قوة الارادة ، وهذا هو الحزم والثبات ، وهذا هو النبوغ الذي ساعد قوة ارادتهم فرفعهم على رؤوس العالمين .

عملهم في العمران :

بيد أن العرب لم يرضوا ان يحكموا بلادهم والامم الغريبة عنهم ، بقوة ارادتهم وبراعتهم في الحرب ، وجيوشهم التي دوخت اعداءهم فحسب ، بل مدوا ايديهم الى العمل فعكفوا على تحسين الزراعة وزيادة الانتاج ، فرفعوا مياه الانهر من مجاريها ، وجروها الى الاراضي الموات فأحيوها ، وحسنوا الاراضي الذي تشرب من ماء السماء ،ونوعوا انتاجها،ونقلوا اليها من البلدان الاخرى : قصب السكر وأنواع الفواكه ، والحبوب ، والقطن ، فجعلوها جنات النعيم ، وجعلوا أهلها يلعبون بالفضة والذهب ، ويلبسون الطيالس ويتختمون بالجواهر ، ولم يرهقوهم بالضرائب ، والاجعال ، ومع ذلك فان

موارد الحكومة قد زادت كثيراً ، لوفرة الانتاج ، والسعادة والهناء .

ولما رأوا ان الصناع قد رحلوا عن بلادهم العربية الى البلاد التي افتتحوها ، وكادت تضعف الصناعة هناك ، نقلوا الصناع من بلد الى آخر ، وهؤلاء طاب لهم المقام في مساكنهم الجديدة ، فثابروا على صناعتهم ، وعلموها غيرهم ، وجعلوا لها بيوتا خاصة « معامل » ، وهذا ما جعل الصناعة العربية متفوقة على كل صناعات العالم آنئذ ، ومن ينقب عن آثار العرب في العالم ، وخاصة في الاندلس ، ينبهر نظره ، ويندهش من تلك الصناعة وذلك النبوغ .

وعندما افتتحوا البلاد العربية وغيرها ، لم يروا أثراً للبناء الجميل ، الذي يفكرون فيه ، ولم يروا وسعة في طرقات المدينة أو جمالاً في هندستها ، ورأوا انهم في حاجة الى منشآت جديدة ، لايواء جنودهم فيها ، وكذلك السكان الذين تكاثفوا في المدن ، حيث المال والصنعة والدولة ، وعندها قرروا انشاء القصور ، والدور ، والقلاع ، والمساجد ، فأنشؤوها ، وقرروا خلق مدن جديدة فخلقوها ، وتنعموا فيها ما سمحت لهم أيام الزمان .

وقد بحث عن بعض ذلك المستر فرانك ساكران في محاضرته في ايلول سنة ١٩٤٩ ، كما كان بحث عنها مئات والوف العلماء والمؤرخين ، والمستر فرانك ، هو كاتب ومحاضر ، ومحام أمريكي نابه ، ومما قاله ، مشيداً بفضل العرب :

« وان كثيراً من الامريكيين يقيمون في بيوت من آجر أو من حجارة . وان هذه البيوت استنبطت من نماذج عربية يرجع عهدها الى ستة آلاف سنة . وان الفينيقيين هم الذين اكتشفوا الزجاج منذ الفي سنة ، فمهدوا بذلك للتحسينات الحديثة التي نراها في النوافذ الزجاجية ، وفي الانوار الكهربائية ، وذكر أن الصابون الذي اكتشفه العرب ينتفع به الامريكي العادي في الاستحمام صباحاً وفي حلاقة ذقنه . ثم انه يستعين على حلاقة ذقنه بموسى من الصلب ، وهو من اكتشاف العرب أيضاً .

وأشار الى أن الامريكيين مدينون للعرب بما اقتبسوه من فنون النسج

والحياكة عند العرب . وقال ان القهوة التي يستمتع بها أكثر الامريكيين عند تناول الفطور كان العرب أول من شربوها وأول من اكتشفوا حبها (البن) واستخرجوا منها شراباً . وأكد أن العرب هم أول من صنع السكر أيضاً . وأن الفضل في استمتاع الامريكيين بالخبز المقدد « التوست » عند تناول الفطور ، يرجع الى عرب سوريا وهم أول من زرعوا الحبوب وصنعوا منها الخبز .

وأضاف المستر ساكران الى ذلك : أن الامريكيين مدينون بكل ما لديهم من وسائل النقل الى العرب لانهم هم الذين اخترعوا العجلة .

ثم قال ان المدارس الامريكية تنتفع الآن بمخترعات العرب ، وذكر ان الفينيقيين هم الذين اخترعوا الحروف الهجائية ، وأن العالم الغربي اقتبس الارقام العددية وصناعة الورق من المسلمين العرب . وأشار الى أن العرب هم اول من انشأوا الجامعات ، وان جامعة الازهر في القاهرة هي أقدم جامعة في الوجود .

وذكر أن العرب هم الذين وضعوا أقدم دستور قانوني ، وأنهم كانوا أول من أدرك اهمية الاستقلال القضائي ، وأول من انشأ نظام الاستئناف في الاحكام القضائية .

وأعلن بعد ذلك ان الفضل في التطورات التي اصابت الطاقة الذرية يرجع الى الجهود التي بذلها اليونانيون والعرب في سبيل تحويل المعادن الرخيصة الى الذهب .

وقال اخيراً ان العرب ساهموا بجهودهم في ميادين الطب ، وهندسة البناء ، وفي الجغرافيا ، والتاريخ ، وما الى ذلك من العلوم والفنون . وانهم كانوا في ايامهم قادة العالم في التعليم . » (الاهرام ٣٠ - ٩ - ١٩٤٩) .

العرب في العهد الاسلامي :

ان الامة العربية كانت قبل العهد الاسلامي مقسمة الى قبائل وافخاذ ، في بلاد اليمن ، ونجد ، والحجاز ، وكان لكل منها رئيس أو أمير أو مليك ، مستقلاً عن غيره ، قد ألهتها الثارات والغارات والغزوات عن التزود بالعلم ، والتحلي بالجامعة القومية ، وكانت بقية الاقطار العربية (كسورية والعراق ومصر) محكومة من الغرباء الذين منعوا عنها هناءتها ، وحرموها من نهضة قومية ، تأخذ مالها ، وتعطي ما عليها .

وظلت الامة العربية هكذا ، أحقابا طوالا ، لا مخرج لها من هذه البلية الدهياء ، اذ من يستطيع رفع شأن العرب أجمع ؟ ومن يستطيع ايجاد قومية عربية واحدة ، في كل الاقطار العربية : تعمل لأجل خير هذه الامة الكريمة ، وتبعث فيها نهضة مباركة !! .

النبي محمد (ص) في الميدان

كانت الامة العربية تفتش عن زعيم كبير ، لهذا الامر الجسيم ، وكان مليك العراق العربي ، يطلب هذه الزعامة العامة ، ولكن أنى له الوصول اليها ، ودولة الفرس له بالمرصاد ، ومليك الشام (الغساني) يرغب فيها ولكن كيف يتسنى له ما يريد ، والرومان واليونان يعملون على تسييره تحت مشيئتهم ، وقل ذلك عن مصر ، وبينما كان العرب مشردي الفكر ، معذبي الوجدان ، محرومين من دولة عامة ومن زعيم عام ، واذا بمحمد بن عبد الله يولد في مكة . لقد ولد هذا العظيم ، ولم يأبه له أحد ، ومن يأبه لطفل ولد ثم ربي يتيما ؟ ولكن محمداً ، الحامل لدم أجداده ، محمداً الذي هو أعظم من انجبته العرب ، قد عرّف الناس بنفسه ، وجعل الكل تحت امرته ، يقبلون رسالة الله التي أتى بها وتعاليمه .

فكرة محمد (ص) :

لقد عرف النبي (ص) — بعد ان كبر وترعرع - ما هم فيه قومه من التشتت ، والتأخر ، والخذلان ، والجهالة ، فجعل يقول في نفسه :

ما لقومي يعبدون الاصنام ، دون الله العظيم ؟

ما لهم يقاتلون بعضهم بعضاً ، وهم اخوان من عنصر عربي واحد ؟

ما بالهم جهلاء ، وقد طمس الجهل على بصائرهم ، لايعلمون الدنيا ومافيها ؟

ما لهم يبتعدون عن قومهم في الشام والعراق ومصر ، كأن لم يكن بينهم أشياء ؟

هبوا أيها العرب ! الحياة تتطلب العلم والمعرفة ، وتتطلب السيادة

والعزة ! هيا اطلبوا العلم من المهد الى اللحد ، واطلبوا العلم ولو في الصين !

اعلوا شأنكم أيها العرب . اجمعوا كيانكم الممزق ! ابعثوا مواهبكم الطبيعية من مرقدها ! املأوا جيوبكم من خزائن الارض ، وكونوا اخوانا في السراء والضراء ! .

هكذا كانت نفس محمد تهتف فيه ، وهذا ما كان محمد يريده لامته ومن أمته . فلما رأى الله تعالى ان محمداً هو المصلح الكبير ، وهو الزعيم الذي لا يلين ، ولا يستطيع أن يناله أحد بسوء ، اصطفاه لرسالته ، وأيده بروح منه .

قام النبي (ص) بالرسالة في قومه ، فتأثر القرشيون منه ، فجاء رهط منهم ، عمه أبا طالب يشكون محمداً ، فقال أبو طالب الى محمد ، وكان بينهم :

أي ابن أخي ! ما بال قومك يشكونك ؟ يزعمون أنك تشتم آلهتهم ، وتقول وتقول . . . فتكلم النبي [ص] فقال :

يا عم ! اني أريدهم على كلمة واحدة ، يقولونها تدين لهم بها العرب ، وتؤدي اليهم العجم الجزية .

ففزع القرشيون لكلمته ولقوله ، فقال القوم : كلمة واحدة ؟ نعم وأبيك عشراً ، فما هي ؟ .

فقال أبو طالب : وأي كلمة هي يا ابن أخي ؟

فقال النبي [ص] : لا اله الا الله ! .

فقام القوم فزعين ، ينفضون ثيابهم ، وهم يقولون : « اجعل الآلهة ، الهاً واحداً ؟ ان هذا لشيء عجيب » .

ولما ظن رسول الله [ص] أنه قد بدأ لعمه فيه بدأ ، وانه خاذله ومسلمه . وأنه قد ضعف عن نصرته ، والقيام معه ، فقال له : يا عماه ! لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري ، على أن أترك هذا الامر ، حتى يظهره الله ، أو أهلك فيه ، ما تركته .

فقال له أبو طالب : اذهب يابن أخي ، فقل ما أحببت ، والله لا أسلمك

لأحد أبداً . (الطبري تاريخ الامم والملوك طبعة مصر سنة ١٣٥٨ هـ ج ٢ ص ٦٦ و ٦٧) .

محمد (ص) والرسالة :

وظل النبي يؤدي الرسالة ، فجعل يعرف الناس بالخالق ، فكان العرب في بادىء الامر يهزؤون منه ، لانهم لم يروا الخالق ، كما كانوا يرون أصنامهم ، ولكن عبقرية محمد ، وسلطته الخارقة ، ومكانته العربية فيهم ، ورسالته العظيمة ، جعلتهم يؤمنون كما آمن ، ويفدونه بالمهج ، وعندئذ أقام كيانا عربياً موحداً من الحجاز ، ونجد ، واليمن ، وبدأ يرفع مستوى قومه ، ويعلمهم ما يعلم ، ويلقنهم القرآن الكريم ، ويهذب نفسيتهم تهذيباً صحيحاً ، وقد جعلهم يفكرون بالمجموع بدل الفرد ، وبتقويم ما اعوج من اخلاقهم ، حتى أصبحت من أشرف الاخلاق .

لقد نفذ (ص) رسالته فمنع الخمر ، لانها رجس مضر ، تخرج المرء عن طوره ، وتجعله يعمل ما لا يعقل ، ويضر غيره بعمله .

ومنع الميسر ، وقال لقومه : ما قاله الله تعالى ، لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ، الا ان تكون تجارة عن تراض منكم ، لان الميسر آفة أخلاقية ، تذهب بثروة الفرد والمجموع ، الى اشخاص ، وجماعات ، لم يكدحوا في من أجلها .

ومنع الفحش والفجور ، وفي ذلك نظام العائلة ، وحسن تربية البنين ، وارتباط الرجل بزوجه ، وتجنب الامراض ، وحفظ الاعراض .

ومنع الكذب ، وأبلغ قومه قوله تعالى : « الا لعنة الله على الكاذبين » لان الكذب سفالة ونذالة ، اذ لا يكذب الا الذليل المهان الذي حرم من عزة النفس ، والمكانة الادبية ، والكذاب هو ضرر على المجتمع ، وعلى نفسه ، اذ يحرم من الخيرات ، والصداقات ، والعطف والنجاح .

ومنع النميمة ، وأبلغهم قوله تعالى : ولا تطع كل حلاف مبين ، همماز

مشاء بنميم « وقال لهم »: لا يدخل الجنة نمام لان النميمة دناءة وحقارة، وهي شبيهة بالتجسس ، ولان من يعتاد عليها لا يرجى منه خير ، اذ يضيع ثقة الناس بعضهم ببعض ، ويلقي بينهم الاحن ، التي تجر الى القتل .

ومنع الغيبة وأبلغهم:« ولا يغتب بعضكم بعضاً » لان الشجاع لايستغيب وما الاستغابة الا صفة الجبان غير المهذب .

ومنع السرقة وأبلغهم : (السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) لان السرقة جرم أخلاقي ، تجعل السارق ينال ثروة من كان تعب في جمعها ،فيقتله وأهله ، وهذا ما يضعف قوة العمل في الانسان ، ويخرب الاخلاق ، ثم يؤدي بالسارقين الى الفناء .

ومنع الاضرار بالناس وأبلغهم : « والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا ، فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا » وقال لهم : « من لا يرحم الناس لا يرحمه الله » وجعل لكل انسان حداً لا يتعداه ، له الحق في الحياة وعليه واجب نحو وطنه ، وامته ، والافراد ، أي أنه أفهم الناس معنى العدالة.

ومنع الخمول والدعة والاستكانة ، وابلغهم : « وأن ليس للانسان الا ماسعى » ورغبهم في العمل بعد ان بين لهم فوائده وطرقه .

وعلمهم أصول الكسب والانفاق ، وحذرهم من الافراط في السرف والبخل ، وأبلغهم :«ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ،ولاتبسطها كل البسط » وقال لهم « اللهم اني اعوذ بك من غني مبطر ، ومن فقير ملب أو مرب » .

وعلمهم فائدة العلم : علم الدين وعلم الدنيا ، وانه لايستوي الذين يعلمون والذي لا يعلمون ، وأن حكمة الله وعظمته لا يعلمها الا العقلاء العلماء. وقال لهم : « من خرج في طلب العلم ، فهو في سبيل الله ، حتى يرجع » .

وعلمهم تاريخ الغابرين ، واستخلص منه العبر ، وكيف تنجح من أحسن عملاً ، وكيف بلي بالعذاب الأليم من أساء عملاً .

وعلمهم معنى الجامعة القومية ولذتها وفائدتها ، في حفظ المصالح المشتركة ،

وعلمهم معنى السيادة والاستقلال ، ومعنى الحرية ، وكيف يجب أن يعيش الانسان حراً ، من غير أن يضر أحداً ، وعلمهم أصول الحكم في البلاد ، والاذعان لاولى الامر الذين هم منهم ، ليستبقى الكيان العربي الموحد ، للتوسع في الحكم .

وعلمهم علم النفس ، وضرورة درس نفسية الافراد والامم ، وأن يدرسوا كل ما يقال ، لئلا يقعوا في الضلال ، وأبلغهم رسالته « يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا . . . »

وعلمهم الاعتماد على النفس ، لكي يكون الانسان عظيما في هذه الحياة ، وتكون أمته معتزة به . ونشط فيهم قوة الارادة والتفكير ، وافهمهم معنى الزعامة ، والتعاضد ، والنظام والتنظيم ، والطاعة ، وآخى بين خاصتهم ، ليستبقي عهد الصداقات في الافراد والامة العربية ، وقال لهم : « آخر رأس العقل بعد الدين : التودد الى الناس ، واصطناع المعروف ، الى كل فاجر » لان العمل الطيب مع الفجار ، يهذب أخلاقهم ، وعلمهم كيف يقدرون الاعمال الطيبة ، والرجال الذين يحسنون صنعا .

وحبب اليهم الأدب العربي من نثر وشعر ، وقرب اليه الشعراء (وكان شاعره حسان بن ثابت) وكان يستمع الى الشعر البديع ، وهو في المسجد ، وما ذلك الا من حبه للغته ، ولكي يرغب الامة في لغتها ، ويعلي الادب العربي .

ووحد آداب السلوك بين الامة العربية (والمسلمين أجمع) فعلمهم اصول الاكل والحديث والاجتماع والمعاشرة . و . . . . . .

وبعث فيهم روح الفرح والمرح ، وجعلهم يفرحون ويمرحون ، بعد أن يقوموا بالواجب نحو ربهم وأنفسهم وأمتهم .

وعلمهم روح التضحية العامة ، فصار الفرد يصارع الاقدار ، ويفني نفسه في سبيل المجموع ، حتى صار المصري يموت في سبيل اليمني ، والحجازي

في سبيل الاندلسي ، والشامي في سبيل المصري ، والعراقي في سبيل النجدي ، والنجدي في سبيل المراكشي .

بعض اعمال النبي :

ومن بعض أعمال النبي (ص) انه سار يوم ١ شوال سنة ٨ هـ في اثني عشر ألفا من قومه ، لمحاربة قبائل هوازن وثقيف ، التي تجمعت لقتاله ، وانه لسائر بقومه في وادي حنين قبل الصبح ، واذا بكمين يحمل على المسلمين حملة رجل واحد ، فولى المسلمون ، وناداهم النبي فلم يرجعوا ، وثبت معه : ابو بكر ، وعمر ، وعلي ، والعباس ، وابو سفيان بن الحرث ، وابنه جعفر ، والفضل ، وقسم ، ابنا العباس ، ثم عاد بعض الذين هربوا ، فأصبح حوالي النبي نحو المائة ، فاشتد الحرب بين الطرفين ، فولت هوازن وثقيف مهزومة ، بعد أن قتل منها خلق كثير ، وغنم النبي أموالهم ، ولحقهم المسلمون الى ديارهم حتى شتتوهم .

وقصد (ص) منازلة البيزنطيين (الروم في سورية لانقاذها منهم ، واعادة أبنائها العرب الى حظيرة العروبة ، وذلك رغم قلة عدد جنوده ، وعظمة دولة البيزيطيين ، وما غزوة مؤتة في السنة الثامنة للهجرة ، وغزوة تبوك في السنة التاسعة للهجرة التي كانت تحت قيادته ، وقد تمكن آنئذ من أخذ الجزية من أهالي اذرع ودومة الجندل : (ابن خلدون ج ٢ ص ٢٤٥) الا لاستدراج جنود الروم الى البادية ، والقضاء عليهم هناك ، وكل ذلك كان تمهيداً لما قرره في نفسه ، ويريد تنفيذه بقوة ارادته الفولاذية ، وقد وضع هذه الخطة في أذهان رجاله ، لكي يسيروا عليها ، اذا حال بينه وبين رغبته : القضاء والقدر .

بعض ما قاله العلماء عن محمد (ص) :

ولقد قال شارلس اومان المؤرخ الانكليزي ، في كتابه الجديد (في

كتابه : التاريخ) عن الشخصيات الغالية الممتازة ، بان اسكندر الاكبر الذي جاء مقدما هو أول الشخصيات ، وبعده لم يكن سوى النبي محمد (ص) صاحب الشخصية الثانية في العالم ، الذي لايعد قوة ، لدعوته للاسلام ، أو لمجيئه بدين جديد ، فقط ، وانما لانه عقل رجل جبار ، استطاع أن يعكس نتاج تفكيره على العالم بأسره ، ويترك لنا لوناً من الفكر ، اثر في كل الحضارات التي شملت العالم بعد عصره . اه (والحقيقة ان محمداً هو الشخصية الاولى في العالم) .

وقال ماكس مايير هوف في كتابه « العالم الاسلامى » المطبوع سنة ١٩٢٥ باللغة الافرنسية ، عند بحثه عن الايمان والقانون ، وبعد ان ذكر موسى وداود وعيسى ، قال : « لقد استطاع هؤلاء عمل العجائب ، ولكن محمداً « ص » هو أشرف الانبياء وآخرهم ، وقانونه لا يمكن ان يبطل وينسخ ، وان أشياعه هم من الطبقة العالية ، وفي مقدمة هؤلاء خلفاؤه الاربعة ، الذين احسنوا الادارة » . « ص ٢٥ » .

وقال امير الشعراء شوقي : في النبي « ص » قصائده كثيرة ، ومما قاله في : ذكرى المولد :

وارسل عائلًا منكم يتيما ... دنا من ذي الجلال فكان قابا
نبي البر ، بينه سبيلًا ... وسن خلاله وهدى الشعابا
وكان بيانه للهدي سُبلًا ... وكانت خيله للحق غابا
وعلمنا بناء المجد حتى ... أخذنا إمرة الارض اغتصابا
وما نيل المطالب بالتمني ... ولكن تؤخذ الدنيا غلابا
وما استعصى على قوم منالٌ ... اذا الاقدام كان لهم ركابا
تجلى مولد الهادي وعمت ... بشائره البواديَ والقصابا
ابا الزهراء قد جاوزت قدري ... بمدحك بيْدَ ان ليَ انتسابا
فما عَرَف البلاغة ذو بيان ... اذا لم يتخذك له كتابا

وما للمسلمين سواك حصن اذا ما الضر مسهم وثابا
كأن النحس حين جرى عليهم أطار بكل مملكة غرابا
ولو حفظوا سبيلك كان نوراً وكان من النحوس لهم حجابا
بنيت لهم من الاخلاق ركناً فخانوا الركن فانهدم اضطرابا

ومما قاله في قصيدته : نهج البردة :

محمد صفوةُ الباري ورحمته وبغيةُ الله من خلق ومن نَسَم
سَناؤه وسناه الشمس طالعة فالجرم في فلك والضوء في عَلَمِ
قد أخطا النجمَ ما نالت أبُوته من سؤدَدٍ باذخٍ في مظهرٍ سَنِم
نُمُّوا اليه فزادوا في الورى شرفاً ورُبَّ أصل لفرعٍ في الفخار نُمِي
جاء النبيون بالآيات فانصرمت وجئتنا بحكيم غير مُنصرِم
قالوا غزوت ،ورسل الله ما بُعثوا لقتل نفس ولا جاؤا لسفك دم
جهل وتضليل احلام وسفسطةٌ فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم
والشر ان تلقه بالخير ضقت به ذرعاً وان تلقه بالشر ينحسِم
علمتهم كل شيء يجهلون به حتى القتال وما فيه من الذَّمم
دعوتهم لجهاد فيه سؤددهم والحرب اس نُظام الكون والامم
لولاه لم نر للدُّولات في زمن ماطال من عَمَدٍ اوقرَّ من دعَمِ
بالامس مالت عروش واعتلت سُرُرٌ لولا القذائف لم تُثلم ولم تصم
مهما دُعيت الى الهيجاء قمت لها ترمي بأسد ويرمي الله بالرُّجم
على لوائك منهم كل منتقم لله مستقتلٍ في الله مُعتزم
لولا مواهب في بعض الانام لما تفاوت الناس في الاقدار والقيم

(من ديوانه الجزء الاول ص ٥٩ – ٦٣ و ٢٤٤ – ٢٥٣)

هذا هو النبي محمد (ص) ، الذي جاء القدر اليه سراعاً ، وفجع الامة به في ١٢ ربيع الاول سنة ١٠ هـ ، على ان قومه قد اقروا عينه في مرقده الطاهر ، بتنفيذهم لتعاليمه وارادته .

ابو بكر

كان ابو بكر (رضي) قبل خلافته، معروفا بقوة ايمانه، وحبه للنبي (ص) ومساعدته له على تأدية رسالته، وطاعته الفائقة له فقط، ولكنه عندما توفي النبي (ص) ظهر جوهره الحقيقي، مع انه كان قد تجاوز الستين من العمر. فعمل على منع الثورة يوم وفاة النبي (ص) اذا قام الانصار، في فكرة مبايعة سعد بن عبادة (من الخزرج) بالخلافة، فأسرع اليهم ومعه عمر بن الخطاب، وعبيدة بن الجراح، وجماعة من المهاجرين، فأراد عمر الكلام في سقيفة بني ساعدة، فقال له ابو بكر: على رسلك! (اي اسكت) ثم خطب في القوم، فقال:

«نحن المهاجرون، اول الناس اسلاماً، واوسطهم داراً، واكرمهم احسابا، واحسنهم وجوها، واكثر الناس ولادة في العرب، وامسهم رحما برسول الله (ص)، اسلمنا قبلكم، وقدمنا في القرآن عليكم، فانتم اخواننا في الدين، وشركاؤنا في الفيء، وانصارنا على العدو، آويتم وواسيتم، فجزاكم الله خيراً، نحن الامراء، وانتم الوزراء، لا تدين العرب الا لهذا الحي من قريش، وانتم محقوقون الا تنفسوا على اخوانكم من المهاجرين، ما ساق الله اليهم» (عيون الاخبار، لابن قتيبة ج ٢ ص ٢٣٣).

وبهذه القوة والايمان، فك التضامن الذي ظهر في الاوس والخزرج لمبايعة سعد بن عبادة، فانتهز عندئذ الفرصة، واقترح مبايعة عمر بن الخطاب او ابي عبيدة بالخلافة، ولكن هذين قالا ببايعته، وعندئذ بايع القوم ابابكر،

ولما تمت البيعة له من المهاجرين والانصار ، خطب في المسجد فقال :

« اني وليت امركم ولست بخيركم ، ولكنه نزل القرآن ، وسن رسول الله (ص) .

اعلموا ايها الناس : « ان اكيس الكيس التقى ، وان احمق الحمق الفجور ، وان اقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له بحقه ، واضعفكم عندي القوي حتى آخذ منه الحق ، انما انا متبع ، ولست بمبتدع ، فان احسنت فأعينوني ، وان زغت فقوموني ، اقول قولي هذا ، واستغفر الله العظيم لي ولكم ، » (عيون الاخبار ج ٢ ص ٢٣٤) .

وقد قال يزيد بن الحكم بن ابي العاص ، في شأن السقيفة :

قد اختصم الاقوام بعد محمد فسائل قريشا حين جدّ اختصامها
ألم تك من دون الخليقة امة بكف امرىء من آل تيم زمامها
هدى الله بالصديق ضلال امة الى الحق لما ارفض عنها نظامها

وفي اول خلافته ارتد العرب عن الاسلام ، ودفع الزكاة ، وكان المرتدون كل العرب ، عدا ثقيف وقريش ، والانصار ، وبعض الافراد ، فخشي العرب من هذا الارتداد ، وقد قال عمر (رضي) عن ذلك :

هدوء اهل الردة :

« انه لما توفي رسول الله (ص) ارتدت العرب ، ومنعت شاتها وبعيرها ، فاجمع رأينا كلنا ، اصحاب محمد (ص) ان قلنا له « لابي بكر » : ياخليفة رسول الله ! ان رسول الله (ص) كان يقاتل العرب بالوحي والملائكة ، يمده الله بهم ، وقد انقطع ذلك اليوم ، فالزم بيتك ومسجدك ، فانه لا طاقة لك بقتال العرب . فقال ابو بكر : اوكلكم رأيه على هذا ؟ فقلنا : نعم . فقال : لان آخر من السماء ، فتخطفني الطير ، أحب الي من ان يكون هذا رأيي . » ثم صعد المنبر ، فقال :

« أيها الناس ، من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ، ومن كان يعبد

الله ، فان الله حي لا يموت . أيها الناس ! أان كثر اعداؤكم وقل عددكم ركب الشيطان منكم هذا المركب ؟ والله ! ليظهرن الله هذا الدين على الاديان كلها ، ولو كره المشركون ، قوله الحق ، ووعده الصدق ، بل نقذف بالحق على الباطل ، فاذا هو زاهق » (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، والله مع الصابرين) والله أيها الناس ! لو أفردت من جميعكم لجاهدتهم في الله حق جهاده ، حتى أبلى (اي ابلغ) بنفسي عذراً ، او اقتل قتلاً ، والله ايها الناس ! لو منعوني عقالاً لجاهدتهم عليه ، واستعنت عليهم الله ، وهو خير معين ، (الكامل للمبرد : طبعة مصر ج ١ ص ٢٧٠ و ٢٧١) .

ثم اعلن ابو بكر « رضي » عليهم حربا شعواء ، وجيش الجيوش لهم ، فنازلهم واطاح رؤوس بعضهم عن كواهلهم ، وبما قاله الى خالد بن الوليد ، وكان ممن وجهوا اليهم : « احرص على الموت توهب لك الحياة » ، وبذلك فقد أعادهم الى الحظيرة الاسلامية واكرههم على الزكاة .

فتوح سورية والعراق :

ولما انتهى « رضي » من محاربة اهل الردة ، قرر فتح سورية والعراق معا ، فجيش الجيوش اليها ، وجعل عليها قواداً قد اصطفاهم بحكمته ، وكان يمدهم بالمال والسلاح وكل شيء ، فكان نجاحهم باهراً ، ولما توفاه الله كان مطمئن النفس ، لانه عمل ما يجب عليه .

هذا هو ابو بكر صاحب الارادة الجبارة ، التي ايدته في فكرته واعماله ، فاستبقى رهبة السلطان ، وحفظ مكانة الدين الاسلامي ووحدة الامة ، وروح العدالة .

وقد قال امير الشعراء شوقي في ارجوزة له عن ابي بكر « رضي » :

لما اهاب بالرسول الداعي وآذن الجثمان بالتداعي
ولىّ ابا بكرٍ على الصلاة وتلك عليا رُتبَ الولاة
فبايع الطائع والابيُّ طوبى لمن بايعه النبيُّ

وكان ما لم يك منه بُدُّ أقضية الرحمن لا ترد
أصابت الفتنة والحبائل ونكست بعد الهدى القبائل
جلّى الامام يوم ذلك الغُمَّمْ ان المهمات ميادين الهِمَمْ
أعين بالتأييد والتسديد وفتية بُنوا من الحديد
وأصلوا الشرك الحروب الغابره واستأصلوا شأفته ودابره
ورفت السلمُ على الجزيره صافيةً حياضها غزيره
وحبب الفتح الى الامام لا بد للبنيان من تمام
فكانت البصرة أول الثمر ثم ترقى في المنازل القمر
وفتح الله على القواد مفاتح النهرين والسواد
واقتحموا الشام فزال شؤمها وضاق ذرعاً بهم عَشومُها
فيا أخا الضرّاء والشدائد والناس اخوان لدى الفوائد
ومن قضى بعد غنىً فقيراً لم يجدوا في بيته نقيرا
ذهبت بالخير واتعبت عمرْ يا ويح من بعد ابي بكرٍ امرْ

(من كتابه : دول العرب والاسلام ص ٣٥ - ٣٧)

عمر بن الخطاب

ولما أفضت الخلافة الى عمر بن الخطاب (رض) ظهرت عبقريته ، في الادارة والسياسة ، والحكمة ، فساس الامة احسن سياسة ، ونظم الامور ، وولى الصالح على الاعمال ، والجيوش ، وجعل رهبة السلطان في كل القلوب ، فلم يستطع احد الوقوف في وجهه ، او معاكسته في امر ما ، واول شيء عمله : تأييده لفكرة ابي بكر (رض) بفتح العراق وسورية ، ودك سلطان العجم والبيزنطيين ، فكان ذلك ، ونجح نجاحاً باهراً ، ثم ارسل قوة الى فتح بلاد مصر ، وشمال افريقية ، وامر بالتوسع والفتوح في القارة الاسيوية ، كل ذلك بقوة تفكيره ، وارادته التي لا تجارى ، ومقدرته في درس نفسية الناس .

وقد اشتغل عمر « رض » في التنظيم وتحسين الادارة ، كي يبقي نزاهة الدين كما كانت في عهد النبي « ص » ، وعهد ابي بكر « رض » ، ويبقى العرب على سجيتهم الطيبة .

ومن حسن ادارته وعدله ، وحبه لقومه ، وادراكه لنفسية الجماعة :

عمر والاشعري :

أنه كتب الى ابي موسى الاشعري كتابا قال فيه : اما بعد ، فان للناس نفرة عن سلطانهم ، فأعوذ بالله ان تدركني واياك عمياء مجهولة ، وضغائن محمولة ، اقم الحدود ، ولو ساعة من نهار ، واذا عرض عليك امران : احدهما لله ، والآخر للدنيا ، فآثر نصيبك من الله ، فان الدنيا تنفد والآخرة تبقى ،

وأخيفوا الفساق ، واجعلوهم يداً يداً ، ورجلاً رجلاً ، وعد مرضى المسلمين ، واشهد جنائزهم ، وافتح لهم بابك ، وباشر امورهم بنفسك ، فانما انت رجل منهم ، غير ان الله جعلك اثقلهم حملا ، ولقد بلغني انه قد فشا لك ولاهل بيتك ، هيئة في لباسك ومطعمك ومركبك ، ليس للمسلمين مثلها ، فاياك يا عبد الله ان تكون بمنزلة البهيمة ، مرت بواد خصيب ، فلم يكن لها هم الا السمن ، وانما حتفها في السمن ، واعلم ان العامل اذا زاغ زاغت رعيته ، واشقى الناس من شقي به والسلام (عيون الاخبار طبعة مصر سنة ١٩٢٥ ج ١ ص ١١) .

عمر والوفود :

ومن حب عمر لقومه : أنه كان اذا قدم عليه الوفد ، سألهم عن حالهم ، واسعارهم ، وعمن يعرف من اهل البلاد ، وعن اميرهم ، وهل يدخل عليه الضعيف وهل يعود المريض ؟ فان قالوا نعم حمد الله تعالى ، وان قالوا لا كتب اليه : أقبل (عيون الاخبار ج ١ ص ١٤) . وبذلك فانه لم ينم عن الامراء « الحكام » ولم يتركهم ينامون .

عمر وعامله :

ومرّ عمر ببناء يبنى بحجارة وجص ، فقال : لمن هذا ؟ فذكروا عاملا له على البحرين ، فقال : « ابت الدراهم الا ان تخرج اعناقها » وشاطره ماله . (عيون الاخبار ج ١ ص ٥٣) .

عمر والحرية :

ومن سعة صدر عمر وعدله : انه بُعث الى عمر بحلل فقسمها ، فأصاب كل رجل ثوب ، فصعد المنبر وعليه حلة ، والحلة ثوبان ، فقال ايها الناس ! ألا تسمعون ؟ فقال سلمان الفارسي : لا نسمع . قال عمر : ولم يا ابا عبد الله ؟ فقال لانك قسمت علينا ثوبا وعليك حلة ، فقال : لا تعجل يا ابا عبد الله !

ثم نادى يا عبد الله بن عمر ! فقال لبيك يا امير المؤمنين ، فقال : نشدتك الله ! الثوب الذي ائتزرت به هو ثوبك ؟ فقال اللهم نعم ، فقال سلمان : اما الآن فقل نسمع ، (عيون الاخبار ج ١ ص ٥٥) .

ان في ذلك حكمة ، لان السائل ، هو من الموالي الذين كانوا يخشون سلطان العرب ، ولكن عدالة عمر ، شجعته على وقفته هذه ، التي سر عمر منها ، لانه اطلع القوم على الحقيقة ، وانه اراد ان يبين لهم ان سؤال سلمان ، هو واجب كل فرد في الامة .

عمر والرهبة :

وكان عمر مرهوبا ، فكلم الناس عبد الرحمن بن عوف ، ان يكلم عمر في ان يلين لهم ، فانه قد اخافهم ، حتى انه قد اخاف الابكار في خدورهن ، فكلمه عبد الرحمن ، فأجابه عمر : اني لاأجد لهم الا ذلك ، انهم لو يعلمون ما لهم عندي ، لاخذوا ثوبي عن عاتقي ، (عيون الاخبار ج ١ ص ١٢) . فهو بقوة ارادته هذه ، قد حفظ رهبة السلطان .

عمر وعامله :

ولما قدم ابو هريرة من البحرين ، قال له عمر : « يا عدو الله ، وعدو كتابه ، اسرقت مال الله ؟ » فأجابه أبو هريرة : « لست بعدو الله ، ولا عدو كتابه ، ولكني عدو من عاداهما ولم اسرق مال الله » ، فقال عمر : « فمن اين اجتمعت لك عشرة آلاف درهم » فأجابه : « خيلي تناسلت ، وعطائي تلاحق ، وسهامي تتابعت ، فقبضتها منه » فقنع عمر بما قاله ، وطلب ابو هريرة استعفاءه ، ولم يتمكن عمر من استبقائه ، (عيون الاخبار ج ١ ص ٤٥) . وهذا يدل على عظيم عناية عمر بالامة ومراقبته لعماله .

عمر والتوجيه :

ومما قاله عمر : « أيها الناس ! اقرأوا القرآن ، تعرفوا به ، واعملوا به ،

تكونوا من أهله ، انه لن يبلغ ذو حق في حقه ، ان يطاع في معصية الله ، الا انه لن يبعد من رزق الله ، ولن يقرب من اجل : ان يقول المرء حقا ، وان يذكر بعظيم ، الا واني ما وجدت صلاح ما ولاني الله الا بثلاث : اداء الأمانة ، والأخذ بالقوة ، والحكم بما انزل الله ، ألا وإني ما وجدت صلاح هذا المال الا بثلاث : ان يؤخذ من حق ، ويعطى في حق ، ويمنع من باطل ، ألا وانما أنا في مالكم هذا كوالي اليتيم ، ان استغنيت استعففت ، وان افتقرت أكلت بالمعروف ، تقرم البهمة » (عيون الاخبار ج ١ ص ٥٤) .

وقد كتب عمر الى أهل الشام « علموا اولادكم السباحة والفروسية » وقصد عمر بالسباحة تهيئة الشباب لغزو العالم بحراً ، والرمي والفروسية ، لأنه خشي ان ينسيهم ترف الحياة ، الاعتماد على النفس ، وعندئذ يصبحون عبيداً متواكلين ، كما صاروا بعدئذ مدة سبعة قرون .

ثم صارت العرب بعده تسمي الرجل ، اذا كان يكتب ويحسن الرمي ويحسن السباحة ويقول الشعر : الكامل .

عمر والعدالة :

وقال عمر بن الخطاب لابي مريم السلولي (الذي قتل أخاه زيد بن الخطاب) : والله لا أحبك حتى تحب الارض الدم . (اي ان الارض لاتحب الدم ولا تبتلعه) . فقال أبو مريم : افتمنعني حقاً ؟ فقال : لا ، قال : فلا بأس انما يأسف على الحب النساء ، (الكامل للمبرد ج ٢ ص ١٤٤) . وهذا نوع من الارادة : لقد ضبط نفسه ، عن قاتل أخيه ، واعطاه حقه ، كبقية الناس .

قال عمر :

« لا يقوم أمر الناس الا خصيف العقدة بعيد الغرة ، لا يطلع الناس منه على عورة ، ولا يحنق في الحق على حرة ، ولا تأخذه لومة لائم » (عيون الاخبار ٢ — ٤٠) .

ابن العباس وعمر :

وقال عبد الله بن عباس عن عمر :

« كان كالطائر الحذر ، قد علم أنه قد نصب له في كل وجه حبالة ، وكان يعمل لكل يوم بما فيه على عنف السياق » (البيان والتبيين للجاحظ ج٣ ص١٥٥).

عمر والعفة :

ارسل امير المؤمنين عمر الى عبد الرحمن بن عوف يستسلفه اربعمائة درهم فقال عبد الرحمن : اتستسلفني وعندك بيت المال ؟ الا تأخذ منه ثم ترده ؟ فقال عمر : « اني أتخوف أن يصيبني قدري ، فتقول انت وأصحابك : اتركوا هذا لامير المؤمنين ، حتى يؤخذ من ميزاني يوم القيامة ، ولكني أتسلفها منك لم من شحك ، فاذامتُّ جئت فاستوفيتها من ميراثي) . »

عمر وارادته :

عندما انتهت معركة بدر الكبرى ، ونجح المسلمون على قريش المشركين ، كان عدد اسراهم من المشركين سبعين رجلاً ، فشاور النبي (ص) ابا بكر وعلياً وعمر بهم فما قاله عمر عنهم :

« أرى أن تمكنني من فلان فأضرب عنقه ، وتمكن حمزة من أخ له ، فيضرب عنقه ، وتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه ، حتى يعلم الله ان ليس في قلوبنا هوادة للكفار ، هؤلاء صناديدهم وقادتهم وأئمتهم » (الطبري طبعة مصر سنة ١٩٣١ م ج ٢ ص ١٦٩).

عمر والاقتصاد :

ولم تله عمر مشاغل الدولة السياسية ، عن النظر بأمر اقتصاديات الأمة ، فقد عمل كثيراً على تحسين الزراعة ، فمسح الارضين ، ووضع الضرائب بنسبة مواردها المنوعة ، ووجه الأمة الى الاقتصاد ، واقتناء الماشية ، والهجرة من

الحجاز القاحل الى بلاد العراق والشام ومصر، يعملون هناك ويعيشون براحة بال ، وأراح الفقراء ، والشيوخ ، والعانسات ، والمرضى ، وأمن لهم الحياة ، وفرض للمولودين من بيت المال ، مع ان الغربيين يعملون على تأمين حياة قومهم ، اليوم من جديد ، وجعل الجزية تصاعدية ١٢ و ٢٤ و ٤٨ درهماً ، وذلك لمن يستطيع دفعها .

عمر والعمران :

وكان عمر يميل الى العمران ، وقد احدثت في خلافته مدينة البصرة (سنة ١٤ هـ) ، ومدينة الكوفة (سنة ١٧ هـ) ، وفسطاط مصر (سنة ٢٠ هـ) ، وكان ينشط العرب الى العمران في كل مكان هبطوه . وقد امر بفتح الشوارع الواسعة في الكوفة ، بعد ان ترك المسجد في مربع يبعد عن البناء ٢٠٠ ذراع من كل اطرافه ، بحيث يكون عرض الشارع ٦٠ و ٤٠ ذراعاً ، وما يليها ٣٠ ذراعاً ، وما بين ذلك ٢٠ ذراعا ، وعرض الأزقة ٧ آذرع (الطبري ج ٣ ص ١٤٨) .

ولقد سألت مجلة المصور (المصرية) عبد فهمي جمعة باشا ، رئيس مجلس النواب (آنئذ) : ماهو أحب رجل اليك في التاريخ ؟ فأجاب : « هو الفاروق عمر بن الخطاب ، لعدله ، وقوة شخصيته ، وتقواه الله ، وصبره في الشدائد ، وتغلبه على المصائب ، وسياسته الحكيمة الحازمة ، وارادته القوية العارمة ، وطموحه الجدي في رفع شأن الاسلام ، وعمله العظيم في اتساع الفتح الاسلامي »

هذا هو عمر ، الذي أصبح مثالا عاليا لكل العالم : (عن تلك المجلة ٢٣ ابريل سنة ١٩٤٣) بعدالته ، وحكمته ، ورجاحة عقله ، ومواهبه الممتازة ، وحسن ادارته ، وشخصيته الجبارة ، وارادته التي لا تجارى .

ومما قاله امير الشعراء شوقي في ارجوزة له في عمر بن الخطاب (رض) :

مضى ابو بكر ، وولاها عمرْ الشمسُ لا تُخلفُ الا بالقمرْ
ما مال حائط الهدى حتى اعتدلْ والركن ان سد من الركن بدلْ

بزاهد قام مكان الزاهد مجاهد ناب عن المجاهد
حابوه بالشدة وهي حُسْنُ في رجل للحق منه حصنُ
ميسَّر في صُلب والديهِ لتفتح الدنيا على يديه
بالعدل والدّرة طار بالعرب وسار في الجو بهم وفي السّرَب
طريقه في العدل قط ما سُلِكْ من ذا قضى لسوقةٍ على ملك
أقام في مركزه بيثربا وشرّق القنا به وغربا
ثوى وساق نجْب الصحاب بُورك في البحر وفي السحاب
تعهدوا الفتح بالاختِطاط ووصلوا الكوفة بالقسطاط
وراءهم مُسَهَّدُ الفواد موكلُ العيون بالقواد
حتى جلا كسرى عن المدائن وآب بالايوان والخزائن
وشاطرته ملكها القياصره والقدسُ فيما بذلت وناصرَه
أهدى على الدهر الى الاسلام ما بين أعلى النيل والسلام
أرض أصابت من نَدَى السماء خير النبات وعيون الماء
وعالمٌ باق على عهد العربْ وان مضى الدهر عليهم وضربْ

(من كتابه دول العرب وعظماء الاسلام ص ٣٩ - ٤٣)

عثمان بن عفان

لم يكن عثمان (رض) هيناً لينا ، قبل خلافته ، وكان حصيف الرأي، قوي الايمان ، كريم الخلق ، وكان من أكبر المساعدين للنبي (ص) في نشر الاسلام ، وتحذير بني امية ، الذين تأخروا في قبول الاسلام ، و كانوا يريدون ان يكونوا الرؤساء في الاسلام ، كما كانوا في الجاهلية ، وقد أنفق ماله في سبيل تأييد النبي (ص) في دعوته .

ولما تولى الخلافة سنة ٢٤ هـ كان عمره ٦٩ عاما ، وهو سن القعود في البلاد الباردة ، فكيف في البلاد الحارة ، ومع ذلك فقد قام بالعمل خير قيام لان رهبة السلطان التي ابقاها له عمر (رض)قد ساعدته على ذلك ، وكانت جيوشه توالي الفتح والغزو ، في الري ، وسابور ، ثم إفريقية ، وسواحل الروم ، وفارس ، وطبرستان ، وكرمان ، وسجستان ، ثم الأساورة في البحر (المعارف لابن قتيبة ص ٨٣ و ٨٤) .

وكانت مطامحه لا حدّ لها ، إذ انتدب احد قواده لفتح الأندلس ، ومما كتبه اليه : « أما بعد فان القسطنطينية إنما تفتح من قبل الأندلس ، وانكم ان افتتحتموها كنتم شركاء من يفتحها في الاجر والسلام »تاريخ الطبري طبعة مصر الجديدة ج ٣ ص ٣١٤) .

ولكنه عندما تجاور الخامسة والسبعين ، وقع تحت سلطة أقربائه . ولما بلغ الواحدة والثمانين ، كلف بالاستقالة ، لتقدمه في السن ، وظهور ضعفه ، فلم يقبل ، فقضى عليه بعض الشباب ، لان العرب الذين جمعهم الاسلام ، والنبي (ص) قد توغل ابناؤهم في بلاد العالم ، فقد اصبحوا في حاجة الى خليفة قوي ، معتدل السن ، يدير شؤونهم في بلادهم والبلاد التي امتد اليها سلطانهم .

علي بن ابي طالب

إن علياً (رض) لا يجارى بقوة ارادته ، وصـــلابة ايمانه ، وحسن تفكيره ، وغزارة علمه ، وسمو أخلاقه ، وشجاعته في ميادين الحروب ، وركوب الاخطار ، في سبيل نصرة النبي (ص) ، فكان لا يأبه لاحد في العالم ، وكان يقف في وجه كل عدو للنبي (ص) يذيقه المنون ولو كان من أقرب الناس اليه ، وقد سأله سائل :

بأي شيء غلبت الأقران ؟

فقال :

« ما لقيت رجلاً الا أعانني على نفسه » (نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٢٩) يريد بذلك أن هيبته تتمكن من قلب خصمه ، وعندئذ يصبح في خبر كان .

لقد عمل العجائب في كل الغزوات ، « في زمن النبي ص » وما كان يقضي على ابطال المشركين غيره ، وكان في حرب الخندق عظيما ، وقد قتل في تلك المعركة عمرو بن ود العامري ، ذلك المعروف ببطولته ، وهو الذي افتتح خيبر ، واذل اليهود . وهذا ماجعله زعيم الابطال في الاسلام .

خلافته :

ولما تولى الخلافة سنة ٣٥ هـ ، هاجم معاوية في داخل البلاد الشامية ، الذي أعلن استقلاله فيها ، وكاد يقضي عليه وعلى جنده ، لولا الخداع ، ثم اغتياله من قبل اللئيم عبد الرحمن بن ملجم سنة ٤٠ هـ

ارادته :

ومن قوة ارادته الجبارة : أنه رأى ذات يوم من أيام صفين ، أن ميمنته قد تضعضعت لشدة الحملة عليها ، فنزل بنفسه الى الميدان « وهو ابن ٦٣ عاماً » يقتل من لقيه ، ثم انتقل الى الميسرة وبذلك اخترق جبهة معاوية حتى وصل اليه فهم بقتله ، لولا أن حماه جماعته منه « تاريخ ابن خلدون ج ١ ص ٤٣٥ » وكان انتصاره في ذلك اليوم باهراً ، ولولم تكن جماعة معاوية عرباً ومسلمين ، لما جعل معركة صفين تدوم أكثر من اسبوع ، لان علياً « رض » ما كان يريد أن يصاب العرب بمكروه ، وكان ينزل الى ميدان الحرب بنفسه ، ليبعد عنهم الأخطار .

جيوشه :

وقد كانت جيوشه تحافظ على كل البلاد العربية عدا سورية ، وتمنع وقوع أي حادث فيها كما أنها هاجمت بعض المقاطعات غير العربية ومنها المقاطعة الكردية ، التي أرادت الانتقاض على حكمه ، وكانت تتوغل في بلاد الهند ، والبلاد الواقعة بين فارس والصين وروسيا .

ومن اقواله :

ومن اقواله (رض) التي تدل على صلابته وارادته : « قرنت الهيبة بالخيبة ، والحياء بالحرمان ، والفرصة تمر مر السحاب ، فانتهزوا فرص الخير » .

و « اذا هبت أمراً فقع فيه ، فان شدة توقيه أعظم مما تخاف منه »

و « الظفر بالحزم ، والحزم باجالة الرأي »

و « ثمرة التفريط الندامة ، وثمرة الحزم السلامة » . (نهج ج ٣ ص ١٥٥ و ١٦٣ و ١٩٤) .

واوصى ابنه الحسن ، عند منصرفه من صفين :

وجاهد في الله حق جهاده ، ولا تأخذك في الله لومة لائم ، وخض

الغمرات للحق حيث كان ، وعود نفسك الصبر على المكروه ، ونعم الخلق التصبر في الحق . » (نهج ج ٣ ص ٤٤) .

وقال : (اطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصبر وحسن اليقين) .

و (من أمن الزمان خانه ، ومن أعظمه أهانه)

و (اذا تغير السلطان تغير الزمان) (نهج ٣ - ٦٢ و ٦٣)

و (ان لم تكن حليما فتحلم ، فانه قل من تشبه بقوم ، الا أوشك أن يكون منهم) . اي استخدم ارادتك ، لتصبح حليما .

و « الصبر يناضل الحدثان ، والجزع من أعوان الزمان »

و « أفضل الاعمال ما اكرهت نفسك عليه »

و « من طلب شيئاً ناله ، أو بعضه »

(نهج البلاغة ج ٣ ص ١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٤٧) .

هذه حكم هامة ، تصدر عن ذي ارادة جبارة ، توحي للمرء أنه يمكن ان يصل الى ما يريد متى رغب فيه ، وقرر العمل .

نفسيته :

وفي خلافته (رض) لم تؤثر عليه خدائع الشهوات ، ولم تتغلب على نفسه نوازع الانانية ، ولم يستطع الزمان نزع عزيمته وايمانه ، وقوة ارادته ، مع أن رهبة الخلافة كانت آنئذ قد ضعفت ، ولم تعد الوحدة القومية كما كانت في زمن النبي (ص) ، وابي بكر ، وعمر (رض) ، لقيام معاوية ضده ، وتحريضه الناس عليه ، بعد ان انتهى من موقعة الجمل . ولو أن معاوية نزل على حكمه ، وسارت الصحابة معه ، كما سار هو مع اسلافه ، وطالت مدة حكمه ، لكانت ظهرت ارادته الحديدية بأجلى مظاهرها ، وكانت أفادت الأمة منه ، لأن سنه كانت تساعده على العمل ، أضف الى ذلك عقله الراجح ، وزهده في المادة ، وعدله ، وحبه لقومه ، وحكمته الرائعة ، التي تدل على انه كان من أكبر علماء النفس ، بعد النبي (ص) ، وقد قال عبد الله بن عباس عنه :

« كان والله مملوءً حكمة وعلماً ، وكان يرى أنه لا يطلب شيئاً الا قدر عليه »
(البيان والتبيين : للجاحظ ج ٣ ص ١٥٥) .

واليك بعض ما قال أمير الشعراء شوقي ، في أرجوزة له ، عن الامام علي (رض) :

أما الامام فالاغر الهادي حامي عرين الحق والجهاد
أصل النبي المجتبى وفرعهُ ودينه من بعده وشرعه
يدنو الى ينبوعه بيانا ويلتقي بحراهما أحيانا
الحجر الاول في البناء وأقرب الصحب بلا استثناء
وأزهد الناس وفي الدنيا يدهُ وأخشع العالم وهو سيده
وجامع الآيات وهي شتى وسُدةُ القضاء باب الافتا
من كان في منزله الرفيع يدر مكان منبر الشفيع
وطالما استأخر غير فاحم ولاذ بالحياء لم يُزاحم
يا جبلاً تأبى الجبال ما حملْ ما ذا رمت عليك ربة الجمل
فاسم سمو الزاهد الحواري في درجات القرب والحوار

(من ديوانه : دول العرب وعظماء الاسلام ص ٥٣ ـ ٥٨)

وقال عن علي (رض) في قصيدته (نهج البردة) :

وكالامام اذا مافض مزدحماً بمدمع في مآقي القوم مزدحم
الزاخر العذب في علم وفي أدب والناصرُ الندب في حرب وفي سلم

(من ديوانه الجزء الاول ص ٢٥٦)

خالد بن الوليد

كان خالد بن الوليد من أشـــجع العرب وأحزمهم ، وكانت ارادته قوية ، لم ينزل معركة الا وكان النصر فيها له ، وما قام بعمل هام ، الا كان ناجحاً ، لان قوة ارادته تكون أمامه ، وثباته يكون حليفه .

بطولته وارادته :

لقد ظهرت بطولته في مواقف عدة قبل الاسلام وبعده ، وخاصة في غزوة مؤتة ، في السنة الثامنة للهجرة ، عندما قتل الامير الاول : زيد بن حارثة ، ثم الثاني : جعفر بن ابي طالب ، ثم الثالث : عبد الله بن رواحة ، وعندئذ أخذ الراية ثابت بن ارقم ، وقال : يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم ، فقالوا : انت . فقال ما انا بفاعل ، فاصطلح الناس على خالد ، فلما أخذ الراية دافع القوم ، وحاشـــى بهم ، حتى انصرف بالناس (الطبري ج ٢ – ٣٢٢) .

وقد ابلغ النبي (ص) قومه بالخبر ، وقال عن خالد : ثم أخذ اللواء خالد ابن الوليد ، ولم يكن من الامراء ، هو امر نفسه ! ، ثم قال رسول الله (ص) « اللهم انه سيف من سيوفك فانت تنصره » ومن ذلك اليوم سمي خالد سيف الله . (الطبري ج ٢ – ٣٢٢) . وقد نقل الترمذي عن ابي هريرة ، ان النبي (ص) قال عن خالد : سيف من سيوف الله تعالى .

وقد قال خالد عن تلك الموقعة : « اندق في يدي تسعة اسياف يوم مؤتة ، ثم صبرت في يدي صفيحة يمانية ، فما زالت معي » (الطبري ٢ – ٥٦٩)

وفي حرب اهل الردة في اول خلافة ابي بكر (رض) ، كان بطلاً

مغواراً حيث اعاد ضعاف الايمان الى الحظيرة الاسلامية ، بسيفه وبطشه ، وبذلك حمى العرب من شر مستطير .

وقد قال عنه ابو بكر (رض) آنئذ : « يا معشر قريش ! عدا أسدكم على أسد فغلبه على خراذيله ، أعجزت النساء ان ينشؤا مثل خالد (الطبري ج ٢ ص ٥٦٣) .

وعندما قرر أبو بكر (رض) فتح العراق والشام ، بعث خالداً لفتح العراق ، فذهب مـــع بعض العرب لفتحه ، ولما كان بالوجه ورأى أراضي العراق ومياهه ، رغب قومه في الفتح الاقتصادي ، فقال لهم : « وايالله لو لم يلزمنا الجهاد في الله ، والدعاء الى الله عز وجل ، ولم يكن الا المعاش ، لكان الرأي أن نقارع على هذا الريف ، حتى نكون اولى به » (الطبري ج ٢ ص ٥٥٩)

ولما سمع الروم والفرس بخالد ، قالوا : (احتسبوا ملككم : هذا رجل يقاتل على دين وله عقل وعلم ، ووالله لينصرن ، ولن يُخذلن) وهاجمهم خالد عند الفرات ، وفتك بهم فتكا ذريعاً ، وقتل منهم مائة الف (الطبري ج ٢ ص ٥٨٣) .

لقد كان خالد ، عند فتح العراق والشام ، ذلك البطل الذي قل مثيله ، وكانت قلوب الاعداء تهلع لهوله ، بل عند سماع اسمه ، وفي وقعة اليرموك سنة ١٣ هـ كان المسلمون ٣٦ الفا ، وكان جنود الروم قرابة ٢٤٠ الفاً (الطبري ٢ – ٥٩١) ، ومع ذلك كان خالد بطل المعارك هناك فهزمهم شر هزيمة وقتل منهم زهاء سبعين الفاً ، (فتوح البلدان : للبلاذري ص ١٤٠ و ١٤١) ، ومنهم تدارق شقيق هرقل (تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٣٠٥) .

وكان خالد يسير في الصفوف في وقعة اليرموك ، يذمر الناس ويقول : يا أهل الاسلام ، إن الصبر عز ، وان الفشل عجز ، وان النصر مع الصبر ، (عيون الاخبار ج ١ ص ١٢٦) .

وقد قال رجل في تلك الموقعة لخالد : ما اكثر الروم وأقل المسلمين .

فأجابه خالد : « ما أقل الروم ، وأكثر المسلمين ، انما تكثر الجنود بالنصر ، وتقل بالخذلان ، لا بعدد الرجال » (الطبري ج ٢ ص ٥٩٤) .

وقال عند موته :

« لقيت كذا وكذا زحفاً فما في جسدي موضع الا وفيه ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ، وها انذا أموت على فراشي حتف انفي كما يموت العير فلا نامت أعين الجبناء » (المعارف لابن قتيبة ص ١١٦) .

قالت دائرة المعارف الافرنسية عنه : (خالد المولود سنة ٥٨٢ والمتوفى في حمص سنة ٦٤٢ هو فاتح عربي ، كان قائد محمد (ص) وفاتح العراق وسورية) .

هذا هو خالد البطل ، المفكر ، صاحب الارادة الفولاذية ، التي جعلته يتغلب على أخصامه ، في كل موقعة من المواقع الحاسمة ، انه يشبه نابليون بونابارت في المتأخرين ، ولكن خالداً كان يعمل بفكره وسيفه وارادته ، أما نابليون فكان يعمل بفكره وارادته فقط ، وخالد مات منصوراً ، ونابليون مات مخذولا .

لقد كان عمر بن الخطاب (رض) عزله عن امارة الجند ، عند فتح سورية ، ولكنه بقي جندياً مخلصاً ، في الجيش ، تحت امرة القائد ابي عبيدة بن الجراح ، وهذه هي مزايا البطل الشريف .

ومما قاله أمير الشعراء شوقي عن خالد في ارجوزة :

موفق الآراء والرايات معلق الهمة بالغايات
اذا غزا عن النبي أو سفر افتر النجح عليه والظفر
سماه سيف الله يوم مؤته معظماً في الآخرين شأنه
فما مضى في موطن أو هما الا وكان اسمه على مسمى
اليس كافي الامام الشده وقامع الفتنة يوم الرده
أيامه مشهورة في فارس مسطورة في صحف الفوارس

واحتاجت الشام الى همام أروع يحمي عسكر الامام
خلّى العراق وتولى الشاما نجماً لأهوال السرى جشّاما
أقبل سيف الله يزجي خيله وبل هِرَقل منه ثم ويله !
وأمر الجيش عليهم خالداً وانتظروا اليوم العظيم الخالدا
فعبىء الحزبان للطام طام يعبُّ لنزال طام
تراءيا على تفاوت الفئه ذا مئتا ألفٍ وذا ثلث المئه
فداهم الروم الرعيل المسلم وان العتيق بالعتاق أعلم
يومٌ كبدر في الفتوح منزله أمسى هرقل بعده لا عز له
لما رأى سلطانه تداعى صاح الوداع سورية الوداعا

(من كتاب : دول العرب وعظماء الاسلام ص — ٦٩ — ٧٢)

سعد بن ابي وقاص

سعد بن أبي وقاص ، هو من شجعان قريش ، ودهاتهم ، ومفكريهم ، وكان ذا ارادة قوية ؛ لقد حارب مع النبي (ص) وكان موفقاً ، وولاه عمر ابن الخطاب (رض) حرب العراق سنة ١٤ هـ وأرسل معه أربعة آلاف مقاتل ثم أتبعهم بأربعة آلاف أخرى ، وكان مع المثنى بن أبي حارثة بطل العرب المسلمين في العراق ، ثلاثة آلاف ، وجموع تميم أربعة آلاف ، ثم لحق به الأشعث ابن قيس ومعه ثلاثون الفاً ، وقد قال عمر الى سعد عند ذهابه :

« يا سعد بن أم سعد ! لا يغرنك من الله ، ان يقال خال رسول الله ، وصاحب رسول الله (هو من الصحابة العشرة) فان الله لا يمحو السيء بالسيء ، ولكنه يمحو السيء بالحسن ، وليس بين الله وبين أحد نسب الا بطاعته ، فالناس في دين الله سواء : الله ربهم ، وهم عباده ، يتفاضلون بالعافية ، ويدركون ما عنده بالطاعة ، فانظر الأمر الذي رأيت رسول الله « ص » يلزمه فالزمه ، وعليك بالصبر » ، (تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٣١٦) .

وقد التقى سعد بالفرس في القادسية وعلى رأسهم رستم ، فرتب جيوشه في مواضع حربية مناسبة لهم ، وكانت جيوش الفرس أكثر من جيوش العرب ، وكانت معهم الفيلة القوية ، فجعل سعد يقدم محاربيه فوجا بعد آخر ، ويوكل أمر كل جبهة الى أشخاص معروفين بشجاعتهم ، فكانوا يقاتلون من الصباح الى الصباح ، وفي الاسبوع الاول ، قتل العرب رستم وعشرة آلاف من الاعاجم ، وستة آلاف من المشركين ، فانهزم الفرس ، ولحق بهم العرب ، في طريق المدائن وجلولاء ، ثم ساروا الى ايوان كسرى فدخلوه ، وأرسل

سعد بعض جيوشه الى النهروان في أثر الاعاجم الهاربين ، وبذلك تم النصر للعرب ، الذين أصاب كل منهم من الفيء (وكانوا ستين الفا) اثنا عشر الفا.

ثم سار سعد بالعرب فافتتحوا جلولاء ، ونال كل محارب تسعة آلاف ، وظل سعد موفقا في كل اعماله هناك (تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٣٣٠-٣٣٢) .

عمرانه :

وكان سعد يميل الى العمران ، فاختط البصرة سنة ١٤ هـ ثم الكوفة سنة ١٧هـ بأمر من عمر بن الخطاب (رض) وصار والياعليها، وقدتوفي سعد سنة خمس وخمسين هجرية بعدما بلغ بضعا وثمانين سنة . والمسلمون الصينيون يتبركون به اليوم وله بين قبور بعض الصحابة عندهم في مقاطعة يونان ، قبر كبير يزورونه دوما .

والعرب لا يزالون حتى اليوم ، يحترمونه ، ويقدرون أعماله الباهرة ، وارادته الموفقة .

الزبير بن العوام

كان الزبير من ابطال العرب المشهورين ، وكان يعمل تحت امرة النبي (ص) وامرة خلفائه أعمالاً باهرة ، تدل على شجاعته واخلاصه ، وكانت لا تهمه الرئاسة ، وكان يكتفي بان يكون جنديا يقاتل في صفوف قومه .

في وقعة الخندق :

وفي وقعة الخندق ، أبلى بلاء حسنا ، ولما ضرب ، في احد أيام تلك الموقعة : عثمان بن عبد الله بن المغيرة ، فقطعه الى القربوس ، قال الناس له : ما أجود سيفك !

فغضب لانه يريد أن يقال : ان العمل ليده لا لسيفه (عيون الاخبار لابن قتيبة ج ١ ص ١٢٩) اذ كان من الأنسب أن يقال له : ما أشد ساعدك !

في مصر :

ولما ذهب عمرو بن العاص الى فتح مصر في ثلاثة آلاف مقاتل ، خشي عمر ابن الخطاب عليه ، فأمده بالزبير في عشرة آلاف ، ويقال في اثني عشر الفا ، ومما قاله عمر اليه :

« يا أبا عبد الله هل لك في ولاية مصر ؟

فأجابه : « لا حاجة لي فيها ، ولكن أخرج مجاهداً ، وللمسلمين معاونا ، فان وجدت عمراً قد فتحها ، لم أعرض لعمله ، وقصدت الى بعض السواحل ، فرابطت به ، وان وجدته في جهاد كنت معه . فسار على ذلك ، وكان بطلا في كل المعارك التي خاضها هناك . وابتنى في مصر داراً لسكنه ، (فتوح البلدان : للبلاذري ص ٢١٤ - ٢١٥) .

وقد قال حسان بن ثابت شاعر النبي (ص) في الزبير أبياتا ممتازة ، ومنها :

هو الفارس المشهور والبطل الذي ... يصول اذا ما كان يوم محجل
اذا كشفت عن ساقها الحرب حثها ... بأبيض سباق الى الموت يُرقل
وان امرءاً كانت صفية أمه ... ومن اسد في بيتها لمرفّل
فكم كربة ذب الزبير بسيفه ... عن المصطفى والله يعطي فيُجزل

(الاغاني ج ٤ ص ١٤٥) .

ارادته :

ان الزبير عندما دخل مصر ، قيل له : إن بها الطعن والطاعون .

فقال : « انما جئنا للطعن والطاعون » (البلاذري ص ٢١٥) .

وفعلاً فانه ما كان يأبه للموت ، وكان لا يرى من يضارعه في قوته وإرادته . وقد وصفه شوقي في أرجوزة له وصفاً حسنا ، بمناسبة اشتراكه في فتح مصر ، ومما قاله عنه :

فوردت كتيبة الزُّبير ... وعُمر مصدر كل خير
وظل بابليون وهو عاص ... على الزبير وعلى ابن العاصي
حتى تسور الزبير مسوره ... واغتر في وكونها نسوره
مشى على ناقوسه مكبرا ... يالك ناقوساً أحيل منبرا
أوفى على القوم فريع البرج ... بفارس له السماء سرْج
صوت هفا في الحصن بالعزائم ... كنبأة في جوف أيك نائم
فضاع رشد الروم والصواب ... وفتحت من نفسها الابواب
تبارك الله وجلت العرب ... لم يثنهم جوٌّ ولم يعق سرَبْ

(من كتابه : دول العرب وعظماء الاسلام ص ٦٦ و ٦٧)

ام سلمة زوجة النبي (ص)

لم يختص رجال العرب بالشجاعة والحزم والارادة والحكمة فقط ، بل كانت نساء العرب كرجالهم ، ومن هؤلياء النساء :

أم سلمة (بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومي) زوج النبي [ص] ، كانت حكيمة عاقلة ، قوية الارادة ، ومن حكمتها ، وقوة ارادتها : لما انتهت وقعة الحديبية ، واتفق النبي [ص] مع أهل مكة ، على شروط ، رأى المسلمون أنها في غير فائدتهم ، قال النبي (ص) : « قوموا فانحروا ثم احلقوا » فلم يقم أحد ، حتى قال ذلك ثلاث مرات ، فلما لم يقم منهم أحد ، قام فدخل على أم سلمة زوجته ، وقد كربه ما لقي من الناس ، فقالت له أم سلمة : « يا نبي الله ! اخرج ولا تكلم احداً منهم كلمة ، حتى تنحر بدنتك وتدعو حالقك فيحلقك » فقام ففعل كما قالت له ، فلما رأى القوم ذلك قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضاً . (الطبري طبعة مصر سنة ١٩٣٩ ج ٢ ص ٢٨٣)

إن رأي أم سلمة هذا ، قد أبعد خطر التردد او الانقسام ، في جماعة النبي (ص) .

هي وعائشة :

وفي وقعة الجمل ، كتبت الى عائشة ، فقالت لها :

« فاني احمد الله اليك الذي لا اله الا هو . اما بعد . فقد هتكت سدة بين رسول الله (ص) وأمته ، (وهي) حجاب مضروب على حرمته ، وقد جمع القرآن

ذيولك فلا تسحبيها، وسكر خفارتك فلاتبتذليها ، فالله من وراء هذه الامة، لو علم رسول الله (ص) أن النساء يحتملن الجهاد عهد اليك ، أما علمت أنه قد نهاك عن الفراطة في الدين ، فان عمود الدين لا يثبت بالنساء ، إن مال ، ولا يرأب بهن إن انصدع ، جهاد النساء غض الأطراف ، وضم الذيول ، وقصر المؤادة . ما كنت قائلة لرسول الله (ص) لو عارضك ببعض هذه الفلوات ناصة قعود ، أمن منهل إلى منهل ؟ وغداً ترددين على رسول الله (ص) وأقسم لو قيل لي : يا أم سلمة ! ادخلي الجنة لاستحييت أن القى رسول الله (ص) هاتكة حجاباً ضربه علي ، فأجعليه ستركِ ، وقاعة البيت حصنك ، فانك انصح ما تكونين لهذه الامة ، ما قعدت عن نصرتهم ، ولو اني حدثتك بحديث سمعته من رسول الله (ص) لنهشت نهش الرقشاء المطرقة والسلام » (العقد الفريد ج ٣ ص ٩٩ و ١٠٠) .

وهذا يدل على سمو رأيها .

هي وعلي :

وقد قالت الى علي (رض): « ياامير المؤمنين ! لولا ان اعصي الله عزوجل ، وانك لا تقبله مني ، لخرجت معك ، وهذا ابني عمر ، والله لهو اعز علي من نفسي ، يخرج معك فيشهد مشاهدك » فذهب عمر مع علي الى البصرة ، وبقي معه الى آخر حياة علي (الطبري: ج ٢ ص ٤٧١) .

إن ام سلمة قد جعلت الناس يقرون لها برجاحة عقلها ، وقوة ارادتها ، ومقدرتها على إدراك الحقائق بلا تردد .

خولة بنت الأزور الكندى

خولة بنت الأزور الكندي : كانت مع أخيها ضرار ، في فتوح الشام، و كانت بطلة الابطال ، ومن أعمالها : انه لما ابلى أخوها ضرار ، بلاء حسنا ، في احدى المواقع ،و كان في مقدمة الجيش آنئذ ، تكاثرت عليه الروم فأسروه، فذهب خالد بن الوليد بجمع من العرب لتخليص ضرار ، وعندما هاجمت العرب الروم ،رأوا فارسا حمل على عساكر الروم كأنه النار المحرقة ،فزعزع كتائبهم وحطم مواكبهم ، ثم غاب في وسطهم وخرج من بينهم وسنانه ملطخ بالدم ، وقد قتل رجالا ، وجندل ابطالا ، ثم اخترق القوم غير مكترث بهم ، وشتت كل من كان أمامه ، فظنه العرب المسلمون : أنه خالد بن الوليد ، ثم رأوا خالداً معهم ، وهو مثلهم متعجبا من ذلك الفارس ، الذي ارعب الروم وجعلهم يقولون مالنا وللعرب من طاقة ، ما دام مثل هـذا الفارس فيهم ، وعندما ألح خالد على ذلك الفارس بتعريف نفسه ، كشف عن قناعه ،واذا هي خولة(فتوح الشام :للواقدي ج ١ص ٣٩ و٤٠) و كان نصر العرب مبينا ، في تلك المعركة .

وخولة هذه عندما وقعت مع بعض النساء العربيات في أسر الروم ، هاجمت معهن الروم بعمد الخيام ،فقتلن منهم ٣٠ فارسا، وخولة قتلت من هؤلاء خمسة ، وقد منعن الروم من الدنو منهن ، حتى وصلت جنود العرب وانقذوهن (فتوح الشام للواقدي ص ٤٦ – ٤٨) .

من هي العربية اليوم ، التي تضاهي خولة : في شجاعتها ، وارادتها التي لا تهاب الموت ، ولا الوف الأعداء الاشداء ؟

المثنى بن حارثة الشيباني

المثنى بن حارثة الشيباني : هو من بني بكر بن وائل سكان العراق ، وكان بطلا لا يأبه للموت ، ناضج العقل ، قوي الارادة ، وهو أول من سار الى الخليفة أبي بكر (رض) وقال له: « أمرني على من قبلني من قومي، أقاتل من يليني من أهل فارس، وأكفيك ناحيتي » ففعل أبو بكر ما أراده (الطبري ج ٢ ص ٢٥٥) لان المثنى يريد مقاتلة الفرس ، وإنقاذ العراق ، وفتح بلاد فارس ، ولما أمر أبو بكر خالد بن الوليد أن يسير الى فتح العراق ، سار المثنى تحت رايته (الطبري ج ٢ ص ٥٥٢) فكان فارساً لا يجارى .

ولما أمر ابو بكر خالداً ، أن يلتحق بالشام ، قال له في الكتاب ، بان يخرج في شطر من الناس ، وأن يخلف على الشطر الباقي المثنى بن حارثة ، ثم قال له : لا تأخذن نجداً الا خلفت له نجداً ، فاذا فتح الله عليكم ، فارددهم الى العراق ، وأنت معهم ، ثم أنت على عملك ، فسار خالد في سبيله ، وشيعه المثنى الى قرافر ، ثم رجع الى الحيرة ، ووضع الجنود في المواضع اللازمة ، وسد أماكن كل من خرج من الامراء برجال أمثالهم . (الطبري ج ٢ ص ٦٠٥).

فوجه ملك الفرس حملة قوية على المثنى ، وفيها عشرة آلاف محارب ، فالتقوا بجماعة المثنى ببابل ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، ثم أن المثنى وناساً من المسلمين اعتوروا الفيل ، وكان يفرق بين الصفوف والكراديس ، فأصابوا مقتله فقتلوه ، وهزموا أهل فارس ، واتبعوهم ، يقتلونهم حتى جازوا بهم مسالحهم ، وتتبع الطلب القالة ، حتى انتهوا الى المدائن ، وفي ذلك يقول عبدة بن الطبيب السعدي ، وكان قد شهد وقعة بابل :

هل حبلُ خولة بعد البين موصول أم أنت عنها بعيد الدار مشغول
وللاحبة ايام تذكرها وللنوى قبل يوم البين تأويل
حلت خويلة في حي عهدتهم دون المدائن فيها الديك والفيل
يقارعون رؤوس العجم ضاحية منهم فوارس لا عزل ولا ميل

وقال الفرزدق في قصيدة ، يعدد فيها بيوتات بكر بن وائل ، فذكر المثنى وقتله الفيل :

وبيت المثنى قاتل الفيل عنوة ببابل اذ في فارس ملك بابل

معركة النهر :

ولما ارسل عمر (رض) عندما تولى الخلافة ، ابا عبيد بن مسعود الثقفي ، الى العراق آمراً على الجيش ، كان المثنى معه ، فنصحه بعدم عبور النهر في احدى المعارك ، فلم يستمع ابو عبيد نصيحته فقتل هو واخوه وغيرهما ، ثم استلم المثنى الراية ، فقتل سرجابان ومردانشاه ، وهما مقدمان في جيش كسرى (الطبري ج ٢ ص ٦٤٤) . وانقذ العرب المسلمين من شر مستطير .

في وقعة البويب

وفي يوم البويب في رمضان سنة ١٣ هـ رتب المثنى جيوشه ، بحذاء جيوش العجم ، ثم خرج فطاف في صفوفه يعهد اليهم عهده ، وهو على فرسه الشموس ، فوقف على الرايات راية راية ، يحضهم ويأمرهم بأمره ، ويهزهم بأحسن مافيهم تحضيضاً لهم وكان يقول :

« إني لارجو ان لا تؤتى العرب اليوم ، من قبلكم ، والله ما يسرني اليوم لنفسي شيء ، إلا وهو يسرني لعامتكم » فيجيبونه بمثل ذلك ، وانصفهم المثنى في القول والفعل . وخلط الناس في المكروه والمحبوب ، فلم يستطع احد منهم ان يعيب له قولا ولا عملا . (هذه هي الزعامة الشريفة)

ثم قال : « إني مكبر ثلاثة فتهيئوا ثم احملوا مع الرابعة » فلما كبر اول

تكبيرة ، اعجلهم اهل فارس ، وعاجلوهم ، وخالطوهم ، ثم ركدت حربهم مليا، فرأى المثنى خللا في بعض صفوفه، فأرسل إليهم رجلا له مكانته ، فقال لهم :

« إن الامير يقرأ عليكم السلام ، ويقول لا تفضحوا المسلمين اليوم » فقالوا : نعم . واعتدلوا ، واعتنوا بأمر لم يجيء به احد من المسلمين يومئذ ورمقوا المثنى فرأوه يضحك فرحا .

فلما طال القتال في ذلك اليوم ، عمد المثنى الى انس بن هلال وكان عربيا مسيحيا يقاتل مع جماعته العرب المسيحيين ، في صفوف العرب المسلمين ، فقال له : « ياانس ! أنت امرؤ عربي ، وان لم تكن من ديننا ، فاذا رأيتني قد حملت على مهران فاحمل معي » وقال لابن مردى الفهر مثل ذلك ، فأجاباه الى ما طلبه ، فحمل المثنى على مهران فأزاله ، حتى دخل في ميمنته ، ثم خالطوهم واجتمع القلبان .

وكان المثنى قد قال الى قومه : « ان رأيتمونا أصبنا فلا تدعوا ما انتم فيه ، فان الجيش ينكشف ثم ينصرف ، الزموا مصافكم . واغنوا غناء من يليكم » وقد ازال المثنى قلب العجم ، وأفنى أهله ، فقويت جنبات المسلمين على المشركين ، وجعلوا يردونهم على ادبارهم ، وجعل المثنى يدعو لهم بالنصر ، ويرسل عليهم من يذمرهم ، ويقول : « عاداتكم في أمثالهم ، انصروا الله ينصركم » فهزموا العجم ، وسابقهم المثنى الى الجسر ، فسبقهم وأخذ الاعاجم ، فافترقوا بشاطىء الفرات ، مصعدين ومصوبين ، واعتورتهم خيول المسلمين ، حتى قتلوهم » (الطبرى ج ٢ ص ٦٤٩ — ٦٥٠).

ولقد كان المثنى في تلك الموقعة ينتف لحيته من الاسف لاشتداد العجم وقد نادى بالناس : « إلي إلي أنا المثنى » وذلك ليقوي عزائمهم ، وكان أخوه مسعود بجانبه فقتل . فقال : « يا معشر المسلمين هكذا مصرع خياركم ، ارفعوا راياتكم ! » فرفعوها وحملوا حملة منكرة على العجم ، وباشر رئيسهم

مهران الحرب ، وقاتل قتالا شديداً وكان من ابطال العجم ، فهاجمه المثنى هو وانس بن هـلال النغلبي المسيحي (الطبري ج ٢ ص ٦٤٩) . فقتل ، واستمكن المسلمون في السواد ، فانهزم العجم واتبعهم المسلمون وقتلوا وأسروا منهم خلقاً كثيراً (الاخبار الطوال ص ١١١ و ١١٥) .

وقد قال عروة بن زيد الخيل أحد قواد تلك المعمعة في ذلك :

هاجت لعروة دار الحي أحزانا ... واستبدلت بعد عبد القيس همدانا
وقد أرانا بهـاء الشمل مجتمع ... اذ بالنخيـلة قتلى جند مهرانا
أيام سـار المثنى بالجنود لهـم ... فقتل القوم من رجْل وركبانا
سما لأجنـاد مهران وشيعتـه ... حتى أبادهم مثنى ووحـــدانا
ما ان رأينا أميراً بالعراق مضى ... مثل المثنى الذي من آل شيبانا
ان المثنى الامير القرم لا كذِبٌ ... في الحرب أشجع من ليث بخفانا

قال المثنى في موقعة البويب : « قد قاتلت العرب والعجم في الجاهلية والاسلام ، والله لمائة من العجم في الجاهلية ، كانوا أشد علي من الف من العرب ، ولمائة اليوم من العرب أشد علي من الف من العجم ، ان الله اذهب مصدوقتهم ، ووهن كيدهم ، فلا يرد عنكم زهاء ترونه ، ولاسواد ، ولا قسي فج ، ولا نبال طوال ، فانهم اذا أعجلوا عنهـا أو فقدوها ، كالبهـائم اينما وجهتموها اتجهت » (الطبري ج ٢ ٦٥٠ – ٦٥١) . وقد قال المثنى ذلك لان وحدة العرب جعلتهم اقوياء .

يوم الخنافس :

وداهم المثنى في السنة الثالثة عشرة للهجرة : الخنافس ، وبها سوق يتوافد اليها الناس من كل صوب ، للبيع والشراء ، فانتسف السوق ومافيها ، وكان في ذلك غناء للمسلمين ، وقوة لهم على اعدائهم ، وظل المثنى سائراً بأصحابه الى بغداد ، فصبح القوم هنـاك في أسواقهم ، فوضع السيف فيهم وأخذ المسلمون ما شاؤا ، ومما قاله المثنى لاصحابه يومئذ :

« لا تأخذوا الا الذهب والفضة ، ولا تأخذوا من المتاع ، الا ما يقدر الرجل منكم على حمله على دابته » (الطبري ٢ - ٦٥٥ - ٦٥٦) .

تفكير المثنى وارادته :

لقد كان المثنى شجاعاً ممتازاً ، وقائداً عظيما ، وعلاوة على ذلك فقد كان مفكراً عاقلاً ، وذا ارادة نادرة . ومن حسن تفكيره وارادته أنه لما أصاب قومه من الغنائم المارة الذكر ماأصابوا ، همس بعضهم بأذن بعض ، بأن القوم يجدون في طلبهم ، فقال لهم :

« تناجوا بالبر والتقوى ، ولا تتناجوا بالاثم والعدوان ، انظروا في الامور وقدروها ثم تكلموا ، انه لم يبلغ النذير مدينتهم بعد : ولو بلغهم ، لحال الرعب بينهم وبين طلبكم ، ان للغارات روعات ، تنتشر عليهايوماً الى الليل ، ولو طلبكم المحامون من رأي العين ما أدركوكم ، وانتم على العراب ، حتى تنتهوا الى عسكركم وجماعتكم ، ولو أدركوكم ، لقاتلتهم لاثنتين : التماس الأجر ، ورجاء النصر ، فثقوا بالله واحسنوا به الظن ، فقد نصركم الله في مواطن كثيرة ، وهم أعدُّ منكم » (الطبري ج ٢ - ص ٦٥٦) .

هذا هو المثنى فخر العرب في بلاد العراق آنئذ ، بما امتازبه من الشجاعة ، وحسن القيادة والتفكير الصحيح ، والارادة التي لا تقهر ، وهو يشبه المارشال هند نبرغ الالماني بطل الجبهة الروسية في سنة ١٩١٤ في تفكيره وارادته .

حبيب بن مسلمة الفهري

حبيب بن مسلمة الفهري : كان بطلا ممتازاً ومفكراً كبيراً ، وذا ارادة لا تقهر ؛ عمل كثيراً في فتح بلاد الشام ، وقد بعثه أبو عبيدة ، مع عياض ابن غنم الفهري ، الى انطاكية التي بعد ان صالح أهلها ، نقضوا ، ففتحاها على الصلح الاول ، وكانت هذه المدينة من المدن الهامة في القطر الشامي . وقد فتح حبيب ملاطية عنوة ، ورتب فيها الجند . (تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٣٣٩) .

وقدأمر عثمان (رض) حبيباسنة ٢٥هـ بفتح أرمينية (وعاصمتها تفليس) فوقف أمامه ثمانون الفا بقيادة بطريق ارميناقس ، فقاومهم حبيب وهزمهم ، وفتح خلاط ، ودبيل ، وبلاد السيرجان ، وشمشاط ، حتى وصل الى تفليس ، فصالحه أهلها ، وفتح المدن والحصون التي تجاورها . (تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٣٦٧) حتى أصبح اسم أعلى جبل في القفقاس : (البروز) اي اسما عربيا ، وقد مكن حبيب بأعماله ، احد اخلافه : مروان بن محمد ، الذي افتتح بعدئذ خرش (فتوح البلدان للبلاذري ص ٢١١) اي كرش الساحلية ، الكائنة في القرم ، وهذا ما يدل على انه فتح كل مقاطعة القرم ، حيث لايزال هناك حتى اليوم مدينة اسمها : (عرب) وقداعتقد العرب بأن تلك البلاد ستبقى لهم ، لذلك فقد أسكن مسلمة بن عبد الملك : اربعة وعشرين الفا من اهل الشام وهم (عرب) في بلاد القفقاس ، وكان كسرى انو شروان ، اسكن بني دودان بن اسد بن خزيمة هناك ايضا . (فتوح البلدان : للبلاذري ص ١٩٨ و ٢٠٩)

ثم في اواخر عهد عثمان ، كان حبيب واليا على قنسرين ، لانه يعرف

كيف تساس الناس ، ثم انحاز الى معاوية ضد علي (رض) وقد تبارز حبيب والاشتر ، البطل المعروف ، وظلا عدة ايام يتبارزان في الميدان ثم انصرفا، ولم يتمكن احدهما من الآخر . وقد كان حبيب على ميسرة جيوش معاوية ، فقاوم ميمنة جماعة علي (رض) في يوم من ايام صفين ، فانخفل جماعة علي ، لشدة مقاومة حبيب ، غير ان عليا (رض) قوى الميمنة بنفسه ، وحفظ مركزها . (تاريخ ابن خلدون ج٢ ص ٤٣٥)

ان حبيبا قد خلد اسمه في تاريخ الفتح العربي ، بيد انه قد انحاز بعدئذ الى معاوية ضد علي ، وهذه سيئة اضاعت عليه قسما كبيراً من حسناته ، اذ كان الانسب له ، ان يكون مع علي صاحب الحق الشرعي ، او حياديا .

ام عبد الله بنت يزيد الكلبية

أم عبد الله بنت يزيد الكلبية ، هي زوجة حبيب بن مسلمة الفهري : فاتح أرمينية سنة ٣١ هـ لقد كانت من اللاتي اشتركن مع أزواجهن في الجهاد.

وقد سألت زوجها في ليلة كان نزل بجنده ، يقاتلون الاعداء في أرمينية وقد تأخر وصول المدد اليه : أين موعدك ؟

قال : سرادق الطاغية أو الجنة .

قالت : اني لأجد أن أسبقك الى اي الموضعين كنت به .

وفي اليوم الثاني ، لما انتهى حبيب الى سرادق الطاغية وجدها هناك تقاتل الاعداء .

(البيان والتبيين : للجاحظ ج ٢ ص ١٣٠)

هذه عربية كبقية العربيات ، في أول ظهور الاسلام ، فهل عندنا اليوم من يماثلها في شجاعتها وارادتها ؟

معاوية بن ابي سفيان

ان معاوية داهية من دواهي العرب ، بذكائه وحسن ادارته ، وهو لم يعرف في ميدان الحروب ، بل عرف على كرسي الحكم . لقد عينه عمر بن الخطاب (رض) واليا على بلاد الشام ، فوفق في ادارتها .

وكان في ولايته يغزو الجزر في البحر الابيض المتوسط ، وكان في بعض الأحيان يقوم بالغزو بنفسه ، لانه درس نفسية الروم « البيزنطيين » وعلم أنهم تفسخوا ، وأضاعتهم حياة الترف ، وقد افتتح جزيرتي قبرص ورودس ، وغزا مضيق القسطنطينية بنفسه سنة ٣٢ هـ .

معاوية ضد علي :

ومع أن معاوية لا حق له بالخلافة ، ولم يبايع له بها من رجالات قريش والأنصار في بداية الأمر ، الا أفراد معدودة ، فقد وطد النفس على أخذها قسراً ، بعد مقتل عثمان (رض) فعصى عليّ عليّ (رض) وكان يحارب بأهل الشام ، كل من كان مع علي من العرب ، وهذه مخاطرة لاتحمد مغبتها ، اذ لو لم يقتل علي غيلة من قبل عبد الرحمن بن ملجم ، لقتل معاوية .

ان معاوية قد اخطأ ولا شك في مقاومة علي (رض) ، تلك المقاومة التي شطرت العرب شطرين حتى يومنا هذا ، وجعلتهم مدة ثلاث سنوات ، تحت خطر مداهمة الروم والفرس لهم ، لو اتحد هؤلاء عليهم .

خلافة معاوية :

بيد ان معاوية ، عندما توفي علي (رض) أصبح خليفة سنة ٤٠ هـ فنجح في الحكم نجاحاً باهراً ، فأشرك العرب السوريين في ادارة البلاد ، واستجلب رجالات العرب اليه ، وجمع كلمة العرب ، وساسهم سياسة حسنة ، بعقل سليم ، وارادة جبارة ، مخبأة تحت حلم ظاهري ، وصدر واسع . وبهذا الخلق ، الذي يحق ان يقال عنه : « انه استاذ الانكليز بدون مبالغة ومنهم تشرشل » قد خلق دولة الأمويين التي سمت الى المجد ، وجعلت شمس الأمة العربية تشرق في سماء العالمين .

فتوحه :

لقد اندفعت جنود معاوية وراء فتح الجزر في البحر المتوسط (حتى ان معاوية بن حديج الكندي غزا صقلية في زمان معاوية) وتوغلت في بلاد الروم ، وعلى رأسها يزيد الذي ارسله معاوية للفتح وخاصة لفتح القسطنطينية ، لقتل رأس الحية ، فحاصرها سنة ٤٩ هـ ، وكان معه ابن عباس ، وابن عمر ، وابن الزبير ، وابو أيوب الانصاري ، (المدفون اليوم في الجهة الغربية من القسطنطينية) وهذه من حسن سياسة معاوية ، وحزمه ، وارادته القوية .

دهاء معاوية وارادته :

ومن دهاء معاوية : أنه طالب بدم عثمان ، كي يحرض الناس على علي (رض) ، وينال من مقامه لديهم ، ثم الوصول الى الخلافة ، ولما تمكن من الخلافة ، بدأ يستميل الناس ، وترك أمر دم عثمان ، ولما قدم المدينة ، دخل دار عثمان ، فقالت عائشة بنت عثمان : وا أبتاه ! وبكت

فقال لها معاوية :

« يا ابنة أخي ! ان الناس اعطونا طاعة ، وأعطيناهم أمانا ، وأظهرنا لهم حلماً تحته غضب ، وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد ، ومع كل انسان سيفه ،

وهو يرى مكان أنصاره ، فان نكثنا بهم نكثوا بنا ، ولاندري أعلينا تكون أم لنا . ولأن تكوني بنت عم امير المؤمنين (يعني نفسه) خير من ان تكوني امرأة من عرض المسلمين » (عيون الاخبار : لابن قتيبة ج ١ ص ١٤) وبذلك خدرها ، ولا بد ان المال ايضاً ساعده عليها .

ومن دهائه وارادته : « انه لما استتب له الامر ، جعل ينقل اضداده من الشام الى العراق ، ومن العراق الى الشام ، كي لا يبقى منافسوه أقوياء ، ومما قاله الى رجال العراق الذين اتى بهم الى الشام :

« قد بلغني أنكم نقمتم قريشاً ، وان قريشاً لو لم تكن ، عدتم أذلة كما كنتم ، ان أئمتكم لكم اليوم جنة ، فلا تسدوا عن جنتكم » (الطبري ج ٣ ص ٣٦١) .

ومن دهائه وارادته ، أنه قال : « اني لأرفع نفسي من ان يكون ذنب أعظم من عفوي ، وجهل اكثر من حلمي ، او عورة لا اواريها بستري ، او اساءة اكثر من احساني »

ومن دهائه وارادته ايضا ، قوله : « لقد كنت القى الرجل من العرب ، اعلم ان في قلبه علي ضغنا ، فأستشيره . فيشير الي منه ، بقدر مايجده في نفسه ، فلا يزال يوسعني شتما ، واوسعه حلما ، حتى يرجع صديقا ، استعين به فيعينني ، واستنجده فينجدني » (عيون الاخبار ج ١ ص ٣٠) .

ومن دهاء معاوية انه قال :

« اذا لم يكن الهاشمي جواداً ، لم يشبه قومه ، واذا لم يكن المخزومي قياما ، لم يشبه قومه ، واذا لم يكن الاموي حليما لم يشبه قومه »

فعلم الحسن بن علي (رض) ما اراده معاوية ، ففسره بقوله :

« ما احسن ما نظر لنفسه ! ، اراد ان تجود بنو هاشم باموالها فتفتقر الى ما في يديه ، وتزهو بنو مخزوم على الناس فتبغض وتشنأ ، وتحلم بنو امية فتحب » (البيان والتبيين : للجاحظ ج ٣ ص ٢٤٥).

قال معاوية : شجعني على عليّ ، قول عمرو بن الاطنابه :

ابت لي عفتي ، وأبى بلائي وأخذي الحمد بالثمن الربيح
واقدامي على المكروه نفسي وضربي هامة البطل المشيح
وقولي كلما جشأت لنفسي مكانك تحمدي أو تستريحي
لأدفع عن مآثر صالحات وأحمي بعد عن عرض صحيح
أبت لي ان أفضّي في فعالي وأن أغضي على امر قبيح

(عيون الاخبار ج ١ ص ١٢٦)

وقال الاخطل في معاوية ايضا :

تسمو العيون الى امام عادل معطى المهابة نافع ضرار
وترى عليه اذا العيون لمحنه سيما الحليم وهيبة الجبار

(العقد الفريد ج ١ ص ٢٣)

هذا ما يدل على ان معاوية كان من علماء النفس ، وصاحب ارادة فعالة، وحكيما عاقلامفكراً ،حيث عرف كيف يسوس الناس بحلمه ، مع استبقاء رهبته في نفوسهم ، فرفع بذلك شأن أمته العربية عاليا ، بعد ان استتب له الحكم .

ومما قاله شوقي في معاوية :

في الدهر لم تصنع قيون الهند ولم يَسُلّ الشرق كابن هند
العبقري الملك الخليفه السعد كان أبدا حليفه
ما زال بالجبال والعِصِيّ من سحره ففاز بالوصيّ
أرسل في حب الامور الرسنا وفي هوى الدولة جافي الوسنا
وراض من شكائم الأباة بهيبة المُلك وبالهبات

(من كتابه : دول العرب وعظماء الاسلام ص ٦٠)

عقبة بن نافع

هو عقبة بن نافع بن عبد القيس الفهري : رجل الحزم ، والحرب ، والرأي ، والارادة الفعالة ، والعمران ، تولى المغرب في سنة ٥٠ هـ فغزا في افريقية في عشرة آلاف من المسلمين ، فكان موفقاً كل التوفيق بشجاعته ، وحسن تدبيره ، وارادته ، فافتتح شمالها ، ومقاطعات كثيرة هناك ، وثبت أركان العرب فيها : وجعلها تأتمر بأمر الخليفة معاوية ، والخلفاء الذين بعده .

ميله للعمران :

ولما رأى أن العرب المجاهدين في حاجة الى بيوت ليسكنوها هناك ، قرر انشاء مدينة في موضع غيضة ذات طرفاء وشجر ، ولكن لا ترام من السباع والحيات والعقارب القتالة ، فقام بذلك العمل ، وبنى في أول الامر الجامع ، ثم الدور والمساكن (البلاذري ٢٢٩ - ٢٣١) وذلك سنة ٦٧٠ م وهي اليوم تعرف بالقيروان ، ولا يزال مسجدها قائماً (جامع سيدي عقبة) . ولم يقل ان بلاده التي نشأ فيها ، تبعد عن هذه البلاد عدة أشهر ، وإن العمران يجب ان يكون هناك ، لانه أراد اعلاء شأن قومه ، وتنفيذ رغبته في العمران حيثما وجد .

ومما قاله عقبة عند رغبته في بناء المدينة وذلك عن كتاب بدائع فرنسا الاخرى ، لمؤلفه بالفرنسية بروزي ريكار Pruser Ricard « انني اريد بناء مدينة في هذه البقعة التي اتخذناها مركزاً ، تبقى من مفاخر الاسلام الى آخر الزمان »

وقال المؤلف : « هذه الارادة التي بعثها هذا القائد الجريء ، قد تحققت بكاملها ، وجامع سيدي عقبة (بل مدينة القيروان) برهان كاف لها » (عن نفس الكتاب ص ٥٨) .

(وهذه المدينة العربية ، هي اليوم مدينة مقدسة عند المسلمين ، ويقطنها سنة ١٩٣١ : ٢١٥٣٢ نسمة ، وتحتوي على ٥٠ مسجداً ، وفيها أبنية أثرية عربية ممتازة ، ومسجد النبي ، وقد بني من الاحجار التي جلبت من قرطاجنة (جريدة المصري ١٣ نيسان ١٩٤٣) .

ان هذا البطل ، القوي الارادة ، قد قدره الغربيون أكثر مما قدره العرب ، مع انه عمل في إفريقية ، أكثر من رومل الألماني في تلك الاصقاع ، ونجح في كل أعماله .

عمرو بن العاص

عمرو بن العاص ، هو من ابطال العرب ، ودهاتهم ، وكان يستخدم ارادته القوية بدهاء ، لقد استعمله النبي (ص) لجمع صدقات بعض القبائل العربية ، وقد استبقاه أبو بكر (رض) عليها ، ثم استعمله أبو بكر في حرب أهل الردة ، فنجح ، وكان أيام فتوح سورية ، قائد الجيش المكلف بفتح فلسطين ، وقد أظهر حكمة ممتازة ، وشجاعة فائقة ، في قيادته .

دهاؤه :

ومن دهائه أنه لما نزلت الروم تجاه العرب ، على ضفة اليرموك ، قال : « أيها الناس ! ابشروا حصرت والله الروم ، وقل ما جاء محصور بخير » لانه علم المواقع التي تفيد أو تضر في المعارك الحربية . وكان رأيه صائباً . واستفادت العرب منه .

إرادته :

لقد فكر عمرو بن العاص في أمر مصر وامكان فتحها ، بعد أن فتحت سورية ، فسمح له الخليفة عمر بن الخطاب (رض) بغزوها ، فذهب اليها بثلاثة آلاف وخمسمائة جندي فقط (فتوح البلدان : للبلاذري ص ٢١٤) مع أن سكان بلاد مصر آنئذ كانت حوالي الثمانية عشر مليوناً ، وكان موفقاً في عمله في بلاد مصر كل التوفيق ، مع أن الخليفة عمر خشي عليه وعلى جنده ، فأمده بالزبير بن العوام ، باثني عشر الفاً . وبعد أن تم لعمرو ما أراده من فتح مصر سنة ٢١ هـ ، داوم السير في طريقه ، شمال افريقية حتى بلغ برقة وزويلة ثم طرابلس

فافتتحها سنة ٢٢ للهجرة (فتوح البلدان : للبلاذري ص ٢٢٥ - ٢٢٧) ، ولم يأبه لقوة العدو وكثرة عدد وعدده ، ما دامه قوي التفكير والارادة.

أعماله العمرانية :

وقد عمل عمرو العجائب ، في تحسين حالة الري وفتح الترع في مصر ، وزيادة الانتاج ، مما لم يسبقه اليه أحد ممن ولي عليها .

لقد أخطأ عمرو في مساعدة معاوية على عليّ (رض) ، ولو بقي محايداً ، لكان حفظ التاريخ له ، أحسن الذكر ، لشجاعته وذكائه .

وقد قال شوقي في عمرو بن العاص ، ابياتا كثيرة ، ومما قاله :

اسلامه وخالداً في آن ... حل على الشرك به رُزآن
السيف والرأي بيوم أجمعا ... واستأذنا على محمد معا
فانقلب الحق بهذا فردا ... وعاد هذا بالهدى مسددا
عمرو القنا والرأي والجدود ... رمى به الفاروق في الحدود
على فلسطين حمى الرايات ... وحمى الخيل على الغايات
سما الى مصر بطرف وطمح ... ولم يزل بعُمر حتى سمح
وجّهه فهب والغزاة ... كما أطار الصَّيْدُ البزاة
وما النجوم الزهر حفت بالقمر ... أروع من عمرو على خيل عمر
كتيبة قليلة العديد ... كثيرة بدينها الجديد
طوت الى مصر القفار طيا ... وركبت رياحها مطيا
واخترقوا النخوم والحدودا ... سبحان من يداول الجدودا
وظلت الخيل تجوب الوادي ... أندى على الريف من الغوادي
يسير في رخائها الملاّح ... ولا يحس وطأها الفلاح
ووجد الرومان والقياصرا ... لا يملكون في البلاد ناصرا
يرونها العنف والاستكبارا ... ولا تحب الامم الجبارا
مما مضى الدهر عليه والأول ... ان النجاح لفيّات الدول

(من كتاب : دول العرب وعظماء الاسلام ص٦٢ - ٦٨)

عبد الله بن الزبير

كان عبد الله كأبيه الزبير ، وكأمه : اسماء ذات النطاقين ، بنت ابي بكر (رض) ، في البطولة والشجاعة ، ولكنه كان يمتاز على أبيه في الطموح للرئاسة .

لقد ظهرت عزة عبد الله في صغره ، اذ مر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رض) بالصبيان ، وفيهم عبدالله ، ففروا ، وبقي عبد الله ، فقال له عمر : « ما لك لا تفر مع أصحابك ؟ »

فقال : « يا أمير المؤمنين ! لم أجرم فأخافك ، ولم يكن بالطريق ضيق ، فأوسع لك » (عيون الأخبار ج ٢ ص ١٩٧) .

مخاطراته :

لقد ركب عبد الله متون الأخطار في عدة مواقف ، لينال المجد والعلا ، وخاصة في حربه في المغرب الاقصى (في افريقية) وفي وقعة الجمل .

ولقد كان مع الجيش عند فتح المغرب الاقصى زمن الخليفة عثمان سنة ٢٩ ، فكان من أشد الفرسان وأنشطهم ، وأمتنهم ارادة ، وقد قال لعبد الله بن سعد بن أبي سرح أمير المغرب ، عندما اجتمع تحت امرة الملك جرجير ١٢٠ الف مقاتل حول سبيطلة : « أن يترك جماعة من أبطال المسلمين المشاهير ، متأهبين للحرب ، ويقاتل الروم بباقي العسكر ، الى ان يضجروا ، فيركب عليهم بالآخرين على غرة ، لعل الله ينصرنا عليهم » فوافق على ذلك أعيان الصحابة ، وفعلوا ذلك ، وركبوا من الغد الى الزوال ، والحوا عليهم حتى

أتبعوهم ، ثم افترقوا ، واركب عبد الله الفريق الذين كانوا مستريحين ، فكبروا وحملوا حملة رجل واحد ، حتى غشوا الروم في خيامهم ، فانهزموا وقتل كثير منهم ، وقتل ابن الزبير جرجير ، وأخذ ابنته سبية (تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٣٧٠) وقد أخذ ابن سرح من عظماء افريقية في تلك الغزوة ثلاثمائة قنطار من الذهب (البلاذري ص ٢٢٨) والقنطار يزن ٨٤٠٠ دينار تقريباً.

وكان في غزو الروم سنة ٤٩ هـ تحت قيادة يزيد بن معاوية ، حيث بلغوا القسطنطينية (الطبري ج ٤ ص ١٧٢)

طموحه :

لقد كان عبد الله ، معروفاً بطموحه ، حتى انه عندما اراد الحسين بن علي (رض) الخروج الى العراق سنة ٦٠ هـ ، أخبر ابن الزبير ، بما جاءه من الكتب من اهل العراق ، فقال له ابن الزبير :

« اما لو كان لي بها مثل شيعتك ، ما عدلت بها »

ثم خشي ان يتهمه ، فقال :

« اما انك لو أقمت بالحجاز ، ثم أردت هذا الامر هنا ، ماخولف عليك ، ان شاء الله » .

ولما ترك ابن الزبير الحسين ، قال عبد الله ابن عباس لابن الزبير :

« قرت عينك يا ابن الزبير !! »

ثم قال :

« يا لك من قنبرة بمعمر ، خلا لك الجو فبيضي واصفري ، ونقري ما شئت ان تنقري ، هذا حسين يخرج الى العراق ، وعليك بالحجاز » (الطبرى ج ٤ ص ٢٨٨) .

دهاؤه :

وعندما قدم المختار بن أبي عبيد (داعية ابن الزبير في العراق) على ابن

الزبير (في مكة) سنة ٦٥ هـ سأله ابن الزبير عن حال الناس بالكوفة .

فأجابه المختار : « هم لسلطانهم في العلانية اولياء ، وفي السر اعداء »

فقال ابن الزبير :

« هذه صفة عبيد السوء ، اذا رأوا أربابهم خدموهم وأطاعوهم ، فاذا غابوا عنهم شتموهم ولعنوهم » . (الطبري ج ٤ ص ٤٤٤) . هذه هي حال العرب اليوم في كل أقطارهم وياللأسف .

وبذلك عرف عبد الله ان العراق لا تؤخذ الا بالسيف ، فأخذها بالسيف بوساطة أخيه مصعب .

لقد علم معاوية بشدة ابن الزبير وطموحه ، وقد قال عنه لابنه يزيد في آخر حياته ، عندما استعرض كبار رجالات العرب : « وأما الذي يجثم لك جثوم الاسد ، ويراوغك مراوغة الثعلب ، فاذا امكنته فرصة وثب ، فذاك ابن الزبير » ثم قال : « فان شخص اليك ، فالبد له ، الا ان يلتمس منك صلحاً ، فان فعل فاقبل واحقن دماء قومك ما استطعت » (الطبري ج ٤ ص ٢٣٨ و ٢٣٩) .

خلافته :

وأخيراً دعته ارادته الى نزع الخلافة من الامويين ، واعلانها لنفسه ، فقام بالأمر ، ونال ذلك سنة ٦٥ هـ ودخلت العراق ومصر في حوزته ، حتى ان بعض عمال الامويين في الشام بايعوه بالخلافة ، رغم وجود ابناء الذين كانوا يتقدمون اباه ، في زمن النبي (ص) وبعده الحجاز ، ولو لم يكن عبد الله في قطر (الحجاز) فقيراً ، قليل المال والرجال ، وكان عدوه مالكا لذلك ، وكان تقدم في السن (اذ كان عمره حين وفاته ٧٣ عاماً) ، لما كان تمكن الموت من نزع روحه من جسده سنة ٧٣ هـ.

اني ابحث هنا : عن شجاعة ابن الزبير ، وطموحه ، وارادته الجبارة فقط ، اما موقفه من علي (رض) في موقعة الجمل ، فاني من الذين يستقبحونه .

عبد الملك بن مروان

عبد الملك بن مروان : اعظم خلفاء بني امية بلا منازع : تفكيراً ودهاءً ، واقواهم ارادة .

تولى الخلافة سنة ٦٥ هـ في وقت عصيب ، حيث كان عبد الله بن الزبير متغلبا على الحجاز ، واخوه مصعب بن الزبير على العراق ، والخوارج : الازارقة ، يعيثون فساداً ، في اطراف العراق ، مما يلي فارس ، اضف الى ذلك : موقف الروم تجاهه ، واضطراره لاسكاتهم بدفع الاموال اليهم ، كل هذا لم يثن من عزم عبد الملك ، بل قدح زناد فكره ، وشمر عن ساعد الجد ، وبدأ يعمل بدون هوادة ، فأرسل جيشاً لمحاربة كل اضداده ، واعداء البلاد ، لانه قوي التفكير ، والارادة ، رجل الحزم ، كما قلت آنفاً ، وقد قال عند ما ولي الخلافة :

« ايها الناس ! اني والله ما انا بالخليفة المستضعف (يريد عثمان) ، ولا بالخليفة المداهن (يريد معاوية) ، ولا بالخليفة المأفون (يريد يزيد بن معاوية) ، فمن قال برأسه كذا ، قلنا بسيفنا كذا » .

وقال في خطبة له :

« ايها الناس ! ان الله حد حدوداً ، وفرض فروضا ، فما زلتم تزدادون في الذنب ، نزداد في العقوبة ، حتى اجتمعنا نحن وانتم عند السيف » (العقد الفريد ج ٣ ص ١٥٤) .

هو والأشدق :

وفي سنة ٦٩ هـ قرر الذهاب بنفسه لاخراج مصعب من العراق ، ذلك الداهية البطل المتقحم ، الذي قال عنه عبد الملك لاخوته ، وعظماء بيته :

« إن مصعب ابن الزبير قد قتل المختار ، ودانت له العراق ، وسائر البلدان ، ولست آمنه أن يغزوكم في عقر بلادكم ، وما من قوم غزوا في عقر دارهم إلا ذلوا » (الاخبار الطوال : للدينوري ص ٣٠١) .

إنها لحكمة بالغة يجب على كل عربي ، أن يكتب الفقرة الأخيرة منها ، بأحرف كبيرة ويضعها أمام فراشه ، ليقرأها دوماً ، في صباحه ومسائه .

فخرج عبد الملك في عسكر جرار ، ومعه عمرو بن سعيد الأشدق ، حتى اذا كان ببطنان حبيب ، عاد عمرو سراً الى دمشق ، وامتنع فيها ، بعد أن خلع عبد الملك (الطبري ٤ - ٥٩٦) فاضطر عبد الملك الى العودة الى دمشق ، ومقاتلة عمرو ، فبدأ القتال ، ثم اصطلحا ، على شروط كبيرة ، قدمها عبد الملك الى عمرو ، وفي ليلة من ليالي سنة ٧٠ هـ طلب عبد الملك عمراً الى قصره ، وهناك فتك به ، وفي الصباح هاجم جماعة عمرو القصر ، فرمى عبد الملك برأسه اليهم ، وطرح عليهم الاموال ، فالتهوا بجمعها ثم تفرقوا . (الطبري ج ٤ ص ٦٠٠ و ٦٠١) !!!!!

وكان عبد الملك يحسب حسابا لعمرو هذا ، حتى إنه لما سأله روح بن زنباع ، وكان من أخص الناس لعبد الملك ، وقد خلا به يوماً :

« يا أمير المؤمنين : هل رأيت الوفاء لعمرو »

فأجابه :

« ويحك ابن زنباع ! وهل اجتمع فحلان في هجمة قط ، الا قتل أحدهما صاحبه ؟ » (الاخبار الطوال : للدينوري ص ٢٨٠) .

هو وابن الزبير :

ثم أرسل الجيوش الى الحجاز والعراق وخلصها من عبد الله ومصعب

ابني الزبير ، اللذين قتلا ، وأعادهما الى حظيرة ملكه ، بعد حرب دامت مدة ، وكان من أبطالها العقلاء الحجاج بن أبي يوسف الثقفي .

هو والروم :

وبينما كان عبد الملك مشغولا في داخل بلاده ، ساعياً وراء اطفاء الفتنة ، والقضاء على اعدائه ، كان البيزنطيون قد خرجوا الى جبل اللكام ، ثم صاروا الى لبنان ، ولحق بهم بعض الجراجمة والانباط والعبيد ، لأنهم وجدوا الفرصة سانحة ، بعد أن بليت الامة العربية بالانقسامات ، فاضطر عبد الملك الى مهادنتهم قليلًا ، ليصلح الأمر داخل بلاده ، ورضي بان يعطى ملك بيزنطية الف دينار ، في كل اسبوع ، (البلاذري ص ١٦٤) على أن يبعد المردة عن أوطانهم في لبنان ، بموجب عهدة الصلح ، فأبعد ملك بيزنطية يوستيفانس ١٢ الفاً من المردة . (من كتاب الجامع المفصل في تاريخ الموارنة المؤصل للمطران الدبس ص ٣٦) . ولما قتل عبد الملك الفتنة في الداخل ، واستتب له الامر ، ضرب نقوداً عربية : فضية وذهبية ، وهو أول من ضرب النقود الذهبية لان العرب كانت قبله تتعامل بالنقود البيزنطية ، (البلاذري ص ٢٤١) والنقود العجمية (الاخبار الطوال ص ٣٠٦) ، ودفعها الى ملك بيزنطية ، فأبى قبولها ، وألح عليه بالنقود البيزنطية ولكن عبد الملك الذي أراد التخلص من تلك الجزية ، وقهر البيزنطيين ، بتلك الفكرة ، رفض اعطاء نقود غير عربية ، فأعلن ملك بيزنطية الحرب عليه ، ولما التقى الجيشان في صعيد واحد ، رفع العرب بأمر من عبد الملك : العهد الذي اتفقا عليه ، على رؤوس الرماح (المؤرخ توافان) وقد قصد بذلك اضرام الفتنة في داخل الجيش البيزنطي ، بينما العرب متفقون عليه ، ويربدون تمزيقه ، فكان للعرب ما أرادوه ، وخرج عبد الملك من المعركة ، بانتصار باهر ، وأعاد السيادة الى الجزء الذي تغلب عليه البيزنطيون من بلاده ، ولاحق هو وابنه الوليد : الجراجمة (البلاذري ص ١٦٥ و ١٦٦) الذين ماشوا الروم واقتصا منهم ، واستقلت

الامة العربية بنقودها ، فمنعت التداول بغيرها ، (عيون الاخبار: لابن قتيبة ج ١ ص ١٩٨ و ١٩٩) .

لقد عد المؤرخ توافان عمل عبد الملك ، على جانب عظيم من الدهاء والمقدرة ، حيث قهر البيزنطيين ، وشتت شمل المردة ، واستقل بنفوذه ونقوده ، على عكس ملك البيزنطيين ، يوستيفانس القليل التفكير ، الضعيف الارادة ، إذ وقع فريسة في يد ذلك البطل عبد الملك بسوء ارادته ، ولم يكتف عبد الملك بأفعاله هذه ، بل بعث جيوشه الى مشارق مملكته ومغاربها لتوطيد ملكه ، والتوسع في الفتح ، فكان النجاح حليفها .

طموحه :

ومن طموحه: أن عبدالله بن عمر بن الخطاب، وعروة بن الزبير ، ومصعب ابن الزبير، وعبد الملك بن مروان اجتمعوا بفناء الكعبة ، فقال لهم مصعب ، تمنوا فقالوا : ابدأ أنت ، فقال (مصعب) : ولاية العراق ، وتزوج سكينة بنت الحسين ، وعائشة بنت طلحة بن عبيد الله ، فنال ذلك ؛ وتمنى عروة الفقه ، وأن يحمل عنه الحديث ، فنال ذلك ؛ وتمنى عبد الملك الخلافة فنالها ؛ وتمنى عبد الله الجنة (عيون الاخبار ج ١ ص ٢٥٨) . هذا هو طموح عبد الملك الممتاز المقرون بارادة حديدية .

دهاؤه وارادته :

قال الوليد ابنه وولي عهده لابيه : عبد الملك : ما السياسة ؟ قال : هيبة الخاصة مع صدق مودتها ، واقتياد قلوب العامة بالانصاف لها ، واحتمال هفوات الصنائع » (عيون الاخبار ج ١ ص ١٠) .

وقال عبد الملك : للوليد ابنه (وكان ولي عهده) : « يا بني ! اعلم أنه ليس بين السلطان ، وبين ان يملك الرعية او تملكه ، الاحرفان : حزم ، وتوان ، » (العقد ج ١ ص ٢٥) .

ومن قوله : « أفضل الرجال من تواضع عن رفعة ، وزهد عن قدرة ، وأنصف عن قوة » (العقد الفريد ج ١ ص ٢١) .

ومن دهائه وقوة تفكيره ، ما كتبه الى عمرو بن سعيد الاشدق حين خرج عليه :

« أما بعد فان رحمتي لك ، تصرفني عن الغضب عليك ، لتمكن الخدع منك ، وخذلان التوفيق اياك ، نهضت بأسباب وهمتك اطماعك ، أن تستفيد بها عزاً ، كنت جديراً لو اعتدلت أن لا تدفع بها ذلا ، ومن رحل عنه حسن النظر ، واستوطنته الاماني ملك الحين تصريفه ، واسترت عنه عواقب أمره ، وعن قليل يتبين من سلك سبيلك ، ونهض بمثل أسبابك ، انه أسير غفلة ، وصريع خدع ، ومغيض ندم ، والرحم تحمل على الصفح عنك ، ما لم تحلل بك عواقب جهلك ، وتزجر عن الايقاع بك ، وأنت ان ارتدعت كنت في كنف وستر والسلام » (البيان والتبيين للجاحظ ج ٣ ص ٢٦١) .

ان هذا الكتاب هام ، يحوي على تهديد ، ومسالمة ، في آن واحد .

ومن دهائه وقوة ارادته ، أنه لما حضرته الوفاة (وذلك في سنة ٨٦) أخذ البيعة لابنه الوليد ، وقال له : يا وليد لا ألفينك اذا وضعتني في حفرتي ، أن تعصر عينيك ، كالامة الورهاء ، بل ايتزر ، وشمر ، والبس جلد النمر ، وادع الناس الى البيعه ثانياً ، فمن قال برأسه كذا فقل بالسيف كذا (الاخبار الطوال ص ٣١٢) أي من قال لا ، فاقطع عنقه .

تعاهده لولاته :

وكان عبد الملك شديد اليقظة ، كثير التعاهد لولاته ، ولما بلغه أن عاملا من عماله قبل هدية ، أمر باشخاصه اليه ، فلما دخل عليه سأله :

« أقبلت هدية ؟ »

أجابه : « نعم »

قال : « لئن كنت قبلت ، ولم تعوض انك للئيم ، ولئن أنلت مهديك ،

لا من مالك ، أو استكفيته ما لم يكن يستكفاه ، انك لجائر خائن ، ولئن كان مذهبك أن تعوض المهدي اليك من مالك ، وقبلت ما اتهمك به ، عند من استكفاك ، وبسط لسان عائبك ، وأطمع أهل عملك ، إنك لجاهل ، وما فيمن أتى أمراً لم يخل من دناءة ، أو خيانة ، أو جهل مصطنع ، فحينـاه عن عمله » (البيان والتبيين ج ٣ ص ٢٦٢) .

من جميل عمله :

لقد كان ديوان الشام بالرومية حتى ولي عبد الملك ، فأمر بنقله الى العربية سنة ٨١ هـ ، وذلك حفظاً لكرامة الامة العربية ولغتها ، ولما عرض نتيجة النقل على كاتبه سرجون ، غمه ذلك ، وخرج من عنده كئيباً ، فلقيه قوم من كتاب الروم ، فقال : اطلبوا المعيشة من غير هذه الصناعة فقد قطعها الله عنكم . (فتوح البلدان : للبلاذري ص ١٩٧) .

وفي زمنه نقل الحجاج بن يوسف والي العراق الديوان من الفارسية الى العربية (البلاذري ٢٩٨) .

وفي الحق ، ان عبد الملك بن مروان هو المؤسس الثاني لدولة الامويين ، بل هو أعظم خليفة لها ، لان الظروف التي وجد فيها ، كانت ظروفاً خطرة تهد الجبال ، وتخبل العقول ، ولكن دهاء عبد الملك وحزمه وقوة ارادته جعلته يتغلب عليها ، ويرفع رأس الأمة عالياً ، ويتوجه بهالات المجد والسؤدد ، في مدة سلطانه الذي دام احدى وعشرين سنة وستة أشهر . (توفي عن ثمان وخمسين سنة) .

إن عبد الملك في الحق ، هو أستاذ بسمارك الألماني موحد المانيا سنة ١٨٧٠ ، وباعث مجدها ، ولكن بسمارك لم يستطع ان يعمل كل ما عمله عبد الملك .

الوليد بن عبد الملك بن مروان

الوليد بن عبد الملك ، كان مثل أبيه : حازماً ، قوي الارادة ، مخلصا في عمله محباً لقومه العرب ، ولي الخلافة سنة ٨٦ هـ بعد موت أبيه ، فنظم شؤون الدولة أحسن تنظيم ، واهتم بأمر التأمين الاجتماعي فأعطى الاموال الى مستحقيها ، والى المرضى وعالجهم ، وأعطى كل مقعد خادماً ، وكل ضرير قائداً (العقد الفريد ج ٣ ص ١٦٨)

فتوحه :

لقد نشط الوليد الى الفتح ، فتوغلت جيوشه سنة ٨٦ هـ في بلاد الترك بأواسط آسيا ، وفي بلاد الروم (أي الاناضول) وحاصرت القسطنطينية بقيادة أخيه : مسلمة ، ودخلت جيوشه في هذه السنة ، بقيادة محمد بن القاسم الثقفي (انظر صفحة محمد بن القاسم) الهند التي فتحها ، والحقها بالخلافة العربية ، ودخلت جيوشه سنة ٨٧ هـ ، بقيادة قتيبة بن مسلم أراضي الصين (انظر صفحة قتيبة بن مسلم) فكانت موفقة كل التوفيق .

وفي سنة ٩٢ هـ افتتحت جيوشه بقيادة موسى بن نصير (انظر صفحة موسى بن نصير) بلاد الاندلس ، بمهارة وشجاعة ، و ربط تلك البلاد بدمشق ، وجعلها عربية سبعة قرون . لقد فعل كل ذلك عن حكمة ودراسة وإرادة جبارة ، لا تلين عند ما تتأزم الأمور .

عمرانه :

لقد كان الوليد يميل الى العمران ، لذلك فقد بنى الجامع الاموي بدمشق

سنة ٨٨ هـ (المعارف : لابن قتيبة ص ١٧٥) وهدم حرم المدينة المنورة بوساطة واليه : عمر بن عبد العزيز ، وأعاد بناءه على أحسن طراز ، وقد وسعه من الدور التي حوله ، بعد أن اشتراها من أهلها .

وقد قال شوقي في الوليد في أرجوزته عند بحثه عن دمشق :

حتى جعلتها دولة الوليد في أزين الطريف والتليد
وكملت محاسن العروس وعوّذت بالجامع المحروس
تأنقت يد الوليد فيها واستبقت أكف مترفيها
فأصبحت حديقة الفنون وهيكلاً من مرمر مسنون
تفيض من عجائب العمارة وحُجَر الصلاة والامارة

لقد ثابر الوليد على أعماله الطيبة حتى توفي سنة ٩٦ هـ وكان قد بلغ من العمر ثمانياً وأربعين عاماً .

الحجاج بن يوسف الثقفي

كان أمير الكوفة في زمن عبد الملك بن مروان وبعده ، وكان حكيما ، مفكراً ، اخصائيا في علم النفس ، فعرف كيف يسوس ، وكيف يحفظ الملك ، ويقتل الفتنة ، ويرفع ملك عبد الملك على كاهله .

أعماله :

لقد نجح الحجاج في الحجاز ، فأعاده الى حظيرة الامويين ؛ وجعل أكبر راس في العراق يطأطىء لخلافة الامويين ، ولم يترك فرصة للاعاجم يرفعون فيها رؤوسهم ، لمناوأة العرب ، والدس بينهم ، والقيام ضدهم ، والتآمر على الامويين ؛ وجهّز جيش ابن عمه محمد بن القاسم الثقفي لفتح الهند سنة ٨٦ هـ وأمده بالقوة والمال ، فنجح هناك كل النجاح ، وجعل الهند ولاية مرتبطة بالتاج العربي بدمشق ؛ وأرسل قتيبة بن مسلم الباهلي الى الصين سنة ٨٧ هـ ففتح القسم الغربي منها ، وأتبعه بدولة العرب .

من دهائه وارادته :

ومن دهاء الحجاج وإرادته وحبه لقومه : أنه نقل الديوان من الفارسية الى العربية ، بوساطة صالح بن عبد الرحمن ، الذي قال فيه مردانشاه بن زادان (زادان كان على الديوان بالفارسية) : قطع الله أصلك من الدنيا كما قطعت أصل الفارسية (فتوح البلدان : للبلاذري ٢٩٨).

لقد أراد الحجاج إيصال ماء نهر في الكوفة الى أراض غامرة ، ولا يمكنه ذلك الا اذا شق جبلًا ، فقال لقومه :

« انظروا قيمة ما يأكل كل رجل من الحفارين في اليوم ، فان كان وزنه مثل وزن مايقلع من الصخر ،فلا تمتنعوا عن الحفر ، فانفقوا عليه حتى استتموه ، فنسب ذلك الجبل الى الحجاج » (فتوح البلدان : للبلاذري ص ٢٧٤) .

ادارته :

كتب الوليد الى الحجاج يأمره ان يكتب اليه بسيرته ، فكتب اليه :

« إني أيقظت رأيي وأنمت هواي ، فأدنيت السيد المطاع في قومه ، وووليت الحرب ، الحازم في أمره ، وقلدت الخراج ، الموفر لامانته ، وقسمت لكل خصم من نفسي قسما ، يعطيه حظا من نظري ، ولطيف عنايتي ، وصرفت السيف الى النطف المسيء ، والثواب الى المحسن البريء ، فخاف المريب صولة العقاب ، وتمسك المحسن بحظ من الثواب » (عيون الاخبار ج ١ ص ١٠) .

ومن ارادته أيضا : أنه أنقذ العراق من الشعوبيين ، الذين أرادوا تمزيق العرب ، فعاقبهم بشدة ، وفرق شملهم .

وكان الحسن البصري اذا ذكر الحجاج قال : « كان يتلو كتاب الله على لحم وجذام ، ويعظ عظة الازارقة ، ويبطش بطش الجبارين » (البيان والتبيين : للجاحظ ج ٣ ص ٩٧)

ونظر الحجاج ، بعد ما تغلب على عبد الرحمن بن الاشعث ، أن كثيراً من الموالي قد خرجوا معه ، مع انه نصحهم الا يكونوا مع عربي على عربي ، ولكنهم كانوا يريدون الفتنة بين العرب ، فأحب أن يزيلهم عن موضع الفصاحة والآداب ، ويخلطهم بأهل القرى والانباط ، فقال : انما الموالي علوج ، وانما أتى بهم من القرى ، فقراهم (أكثرها غير عربية) أولى بهم ، فأمر بتسييرهم من الامصار ، واقرار العرب فيها ، وأمر بأن ينقش على يد كل منهم اسم قريته » (الكامل : لابن المبرد ج ٢ ص ٧٧ و ٧٨) وبذلك فقد فرقهم وقطع نسلهم ، لانه كشف عن اعجميتهم ، فلم تزوجهم العرب .

وقد ظل الحجاج عظيما حتى توفي سنة ٩٥ هـ ، وعظيما مادام التاريخ أمامنا .

محمد بن القاسم الثقفي

محمد بن القاسم الثقفي : كان من شباب العرب الممتازين، وأدهاهم، وأقواهم ارادة، لقد تولى فتح بلاد الهند (التي كان العرب افتتحوا القسم الشمالي منها) رغم أنه لم يبلغ العشرين حجة . فسار بجيوشه اليها ، فلم يتراجع في معركة ما ، وكان جد موفق فكانت تسقط المدن واحدة بعد أخرى في قبضة يده ، وكان المال ينهال عليه كافواه القرب ، حتى انه اضطر لحفظه في الملتان (مدينة شمال دلهي العاصمة ، تبعد عنها قرابة ٢٠٠ كيلو متر) في بناء عشر أذرع في ثماني أذرع ، يلقي ما جمعه في كوة مفتوحة في سطحه (فتوح البلدان : للبلاذري ٤٢٧) .

حسن ادارته وعمرانه :

وكان محمد يأتي بالعجائب من حسن الرأي ، فتارة يقطع المياه عن أهل البلد ليسقطها ، وتارة يؤمن أهل البلد ويكتفي بالجزية منهم حتى لا يعوقوه ويشغلوه عن غيرهم ، ثم يستسلمون اليه باخلاص ، لحسن ادارته ، وكان عادلا في أعماله ، محبوبا من ابناء قومه والبلاد المفتوحة ، فأسلم من أهل الهند خلق كثير في زمنه ، وعمر في الديبل مساكن وبنى فيها مسجداً ، وأنزلها أربعة آلاف عربي (البلاذري ص ٤٢٥) وأسكن العرب أيضاً في بلاد هندية أخرى .

نظر الحجاج ابن يوسف أمير العراق وبلاد العجم ، بعد أن أتم محمد فتح بلاد الهند ، فاذا هو انفق على محمد ستين الف الف ، ووجد ماحمل

اليه عشرين ومائة الف الف ، فقال: « شفينا غيظنا وأدركنا ثأرنا ، وازددنا ستين الف الف درهم ، ورأس داهر » (البلاذري ص ٤٢٧) .

وقد قال حمزة بن بيض الحنفي : في محمد بن القاسم :

ان المروءة والسماحة والندى لمحمد بن القاسم بن محمد
ساس الجيوش لسبع عشرة حجة يا قرب ذلك سؤددا من مولد

وقد أنشأت حكومة باكستان سنة ١٩٤٩: مدرسة للتدريب البحري في كراتشي ، وأطلقت عليها اسم هذا الفاتح العربي : (محمد بن القاسم) الذي استولى على الهند (جريدة المصري عدد ٢ آب ١٩٤٩) . ، وذلك احياء لذكرى فتح العرب لبلادهم ، الذين اتوهم بالدين ، والمجد ، والعزة ، والسيادة .

موسى بن نصير

موسى بن نصير : والي افريقية في زمن عبد الملك بن مروان ، ثم ابنه، الوليد ، (هو عربي من لخم ، وكان أبوه نصير من السبي) كان رجل الدهاء، والعمران ، والادارة ، والحزم .

إن هذا البطل عندما قدم الى إفريقية ، ونظر الى جبالها والى ما حولها ، ومنها الأندلس ، جمع الناس ، ثم صعد المنبر ، فحمد الله واثنى عليه ، وقال:

« أيها الناس ! إنما كان قبلي ، على أفريقية ، أحد رجلين : مسالم يحب العافية ، ويرضى بالدون من العطية ، ويكره أن يكلم ، ويجب أن يسلم ، أو رجل ضعيف العقيدة ، قليل المعرفة ، راض بالهوينا . وليس أخو الحرب: الا من اكتحل السهر ، وأحسن النظر ، وخاض الغمر ، وسمت به همته ، ولم يرض بالدون من المغنم ، لينجو ويسلم ، دون أن يكلم أو ويكلم ، ويبلغ النفس عذرها ، في غير خرق يريده ، ولا عنف يقاسيه ، متوكلا في حزمه ، جازماً في عزمه ، مستزيداً في علمه ، مستشيراً لأهل الرأي ، في احكام رأيه ، متحنكا بتجاربه ، ليس بالمتجابن اقحاما ، ولا بالمتخاذل احجاما ، ان ظفر لم يزده الظفر الا حذراً ، وان نكب أظهر جلادة وصبراً ، راجياً من الله حسن العاقبة ، فذكر بها المؤمنين ، ورجاهم اياها ، لقول الله تعالى : ان العاقبة للمتقين ، أي الحذرين . وبعد فان كل من كان قبلي ، كان يعمد الى العدو الاقصى ، ويترك عدواً منه ادنى ، ينتهز منه الفرصة ، ويدل منه على العورة، ويكون عونا عليه عند النكبة ، وأيم الله ! لا أريم هذه القلاع والجبال المتمنعة ، حتى يضع الله أرفعها ، ويذل أمنعها ، ويفتحها على المسلمين : بعضها أوجمها،

أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين »(الامامة والسياسة :المنسوب لابن قتيبة، طبعة مصر سنة ١٣٢٨ هـ ج ٢ ص ٥١)

ومن قوله هذا تظهر قوة ارادته الجبارة ،بينما كان تجاوز السبعين من العمر.

ثم بدأ يفتح ما لم يفتح بعد ، من افريقية ، وكان موفقا في كل فتوحه ، وقدافتتح طنجة سنة ٨٩ هـ وهو أول من نزلها ، واختط فيها للمسلمين (فتوح البلدان : للبلاذري ص ٢٣٢) اي جعلها سكنا للعرب .

ومن اعماله : انه انشأ دار صناعة بتونس ، وجرى البحر اليها ، مسيرة اثني عشر ميلا ، حتى أقحمه دار الصناعة ، فصار ذلك المرفأ مشتى للمراكب، اذا هبت الأنواء والأرياح ، وأمر بصناعة المراكب (الامامة والسياسة : ج ٢ ص٥٦) وذلك للتوسع في فتح ما وراء البحار .

فتحه للأندلس :

لقد حببت له قوة ارادته اكتساح بلاد الاندلس ، ففكر في الامر مليا ، ولما وجد أن الوقت قد حان ، أخذ موافقة الخليفة على العمل ، وهيأ الرجال والمراكب ، واتخذ من الاسبانيين رجالاً يدلونه على عورات قومهم، ودعاة للعرب ، وهاجم تلك البلاد المكتظة بالملايين سنة ٩٢ هـ (٧١١ م) هو واولاده ، ورجاله المغاوير وكان طارق بن زياد (مولاه : وهو بربري) في الطليعة عند دخول الاندلس ، وتحت امرته ١٧٠٠ جندي ، فتم لموسى ما أراد من فتح الاندلس ، ولم يستطع أحد الوقوف في وجهه طويلا ، وبذلك وضع يده على بلاد غنية في الأرضين ، والذهب ، والفضة ، وجعل العرب ينعمون بتلك الخيرات مئات السنين .

رومة :

وقد قصد موسى التوغل في الفتوح ، الى ان يصل الى رومة ، ولكن رجال جيشه لم يوافقوه على خطته، وقدقال له حبيش الشيباني، آخذاً بعنان فرسه :

« اني سمعت من الناس ما لم تسمع ، وقد ملئوا أيديهم وأحبوا الدعة »
فقال موسى آنئذ :

« اما والله لو انقادوا الي لقدتهم الى رومة ، ثم يفتحها الله على يدي »
(الامامة والسياسة ج ٢ ص ٦٥)

هذا هو موسى بن نصير ، الداهية ، المفكر ، صاحب الارادة الجبارة ، الذي رفع رأس العرب سبعة قرون في اوربا ، وجعل المؤرخين العالميين : يدونون أخباره ، والقواد العظام يدرسون سر نجاحه .

قتيبة بن مسلم الباهلي

كان قتيبة من ابطال العرب ، متحليا بالشجاعة ، والحزم وقوة الارادة ، وحسن الادارة . كان عاملا للحجاج – في خلافة الوليد بن عبد الملك – على بلاد خراسان ، وكان قبلها على الري ، وقد ورث مواهبه الطيبة من ولده ، فكان منهم ولاة ، وصار أولادهم ولاة ايضا (المعارف : لابن قتيبة ص ١٧٢) .

فتوحه :

لقد بقي قتيبة على خراسان ثلاث عشرة سنة ، فاسترجع وافتتح بلاد خوارزم وسمرقند وبخارى (المعارف ص ١٧٩) .

ثم غزا قتيبة بيكند سنة ٨٧ هـ ، وكذلك تومشكت (Tomsk تومسك الروسية الكائنة بين الصين وسيبريا) وكرمينيا سنة ٨٨ هـ ، واسترجع سجستان ، بعد ان عصي أهلها ، وأخذ الجزية منهم (فتوح البلدان : للبلاذري ص ٣٩١) وصالح ملك الجوزجان قتيبة ، وقدم له ملك الصغانيان (توجد جبال Saian في شمال الصين) الطاعة وكذلك ملك كغيان (البلاذري ص ٤٠٩) (توجد مقاطعة في غرب الصين تسمى Kan - Son - Sin Kiang) ولما رأى ان أهل بخارى (هي اليوم مقاطعة روسية بالقرب من حدود الصين) قد رجعوا عن العهد ، قال لهم : دعوني فأصلي ركعتين في المسجد ، فأذنوا له ، واكمن لهم قوما ، فتكاثروا على أهل الباب ودخلوا المدينة ، فقتل من الراجعين عن العهد خلقا كثيراً ، وأصاب فيها مالا عظيما ، وافتتح قتيبة كش (اي كشغر Kachgar الصينية) ونسف (البلاذري ص ٤١٠) .

دهاؤه :

وكان ملك خارزم ضعيفا ، وكان يخشى على ملكه من اخيه خرزاد ، فاستفاد قتيبة من ذلك الخلاف وساعد ملك خارزم على قتل اخيه ، ثم ترك الشعب يثب على الملك ويقتله ، وعندئذ ولى اخاه : عبد الله على خوارزم (الدهاء الانكليزي اليوم) .

واجتمع بعض الملوك مع ملك السغد في سمرقند (اليوم هي مقاطعة روسية بالقرب من الصين) لقتال قتيبة ، فلقيهم هذا بجنده فأوقع بهم وكسرهم ، واتخذ مسجداً فيها ، وخلف بها جماعة من العرب المحاربين واسلم منهم خلق كثير ، وقد قال المختار بن كعب الجعفي في قتيبة :

دوخ السغد بالقبائل حتى ترك السغد بالعراء قعودا

(البلاذري ٤١٠ و ٤١١)

ومن دهاء قتيبة ، انه لما فتح بخارى ، سار حتى وافى بلاد السغد ، فأناخ على مدينتها العظمى ، وهي سمرقند فحاصرها أشهراً ، فوجه اليه دهقانها : انك لو اقمت على مدينتي هذه عمرك لم تصل اليها ، لانا نجد في كتب آبائنا انه لا يقدر عليها الا رجل اسمه : بالان ، لست اياه ، فامض لشأنك ! .

ولكن قتيبة لم ييأس من فتحها ، فهيأ صناديق وجعل لها ابوابا من أسافلها ، تغلق من الداخل وتفتح ، وجعل في كل صندوق رجلا ومعه سيفه ، وأقفل أبوابها العليا وأرسل الى الدهقان :

« اما اذا كان هذا هكذا ، فاني راحل عنك الى الصاغانيان وناحيتها ، ومعي فضول أموال وسلاح ، فوادعني واحرز هذه الصناديق عندك الى عودي ، ان سلمت . »

فأجابه الدهقان الى ذلك رغبة في الكسب ، وتقدم قتيبة الى الرجال ، أن يفتحوا أبواب الصناديق في جوف الليل ، ثم يسيروا الى باب المدينة

فيفتحوه ، فأدخلت الصناديق الى المدينة ، وفي الليل خرج الرجال ، فقتلوا من لقوه وفتحوا المدينة ، ودخل قتيبة بالجيش ، وهرب الدهقان (الاخبار الطوال ص ٣١٤ و ٣١٥) . الذي كان يأمل أن يكون وارث الذهب التي في الصناديق ، ان قضي على قتيبة .

ومن دهاء قتيبة أنه لما بلغه ان سليمان بن عبد الملك يريد عزله عن خراسان واستعمال يزيد بن المهلب مكانه ، كتب اليه ثلاث صحائف ، وقال للرسول : ادفع اليه هذه ، فان دفعها الى يزيد ، فادفع اليه هذه ، فان شتمني عند قراءتها ، فادفع اليه الثالثة ، فلما صار الرسول ، دفع اليه الكتاب الاول وفيه :

« يا أمير المؤمنين ، إن بلائي في طاعة أبيك ، وطاعتك ، وطاعة أخيك ، كيت وكيت » فدفع كتابه الى يزيد .

فأعطاه الرسول الكتاب الثاني وفيه :

« يا أمير المؤمنين ابن دحمة على أسرارك ، ولم يكن أبوه يأمنه على أمهات أولاده ، » فشتم سليمان قتيبة ، فدفع اليه الرسول الكتاب الثالث وفيه :

« من قتيبة بن مسلم الى سليمان بن عبد الملك ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فوالله لاوثقن لك آخية لا ينزعها المهر الأرن » .

« فقال سليمان : عجلنا على قتيبة ، ياغلام ! جدد له عهده على خراسان (عيون الاخبار ج ١ ص ١٩٧) ذلك لأنه خشي من قتيبة ، فأمن عداءه بعمله.

وقد فتح قتيبة عامة الشاش وبلغ اسبيجاب (البلاذري ٤١١) .

وكان قتيبة بن مسلم يقول لاصحابه : « اذا غزوتم ، فأطيلوا الاظفار ، وقصوا الشعر ، والحظوا الناس شزراً ، وكلموهم رمزا ، واطعنوهم وخزا » (العقد الفريد ج ١ ص ٧١) .

قال جورج سوليه دومورات (George Soulié de Mourant) في كتابه تاريخ الصين المطبوع بالفرنسية سنة ١٩٢٩ ما ترجمته :

« ان العرب قد ساروا تحت قيادة الامير قتيبة بن مسلم (Kou - ti - pa) فاتحين في بلاد المشرق فافتتحوا سنة ٧٠٧ بخارى وخارزم وسحقوا القوى في (T sov) الغربية للصين ، واجتاحوها ، وسنة ٧١٢ افتتحوا سمرقند وفي سنة ٧١٥ وصلوا الى فرغانة (كتابه ص ٢٧٨ و ٢٧٩) .

عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي

عبد الرحمن الغافقي ، كان واليا على الاندلس مدة اربع سنوات ، وكان عالما عاملا وداهية ، وكان قوي الارادة ، لقد علم ان احد اسلافه في إمارة الاندلس : موسى بن نصير ، كان رغب في فتح جنوب اوروبا حتى يصل الى القسطنطينية فأراد هو فتح اواسط اوروبا ، ثم النزول الى القسطنطينية .

وهذا ماجعله يتوغل في اراضي فرانسا سنة ٧٣٢ م على جبهة واسعة ، ويصل الى نهر الوار ، وكان موفقاً في فتوحه كل التوفيق ، وكانت بوردو من البلاد التي افتتحها ، غير ان المعركة الهائلة التي وقعت بينه وبين شارل مارتل في تلك السنة في سهول بواتيه لم ينجح فيها ، لان البربر الذين كانوا معه قد خذلوه ، فتراجعوا في ذلك اليوم الحاسم ، يريدون الاحتفاظ باموالهم التي غنموها ، وذلك بالتآمر مع شارل مارتل .

ولم يكتف البربر بتراجعهم وخذلهم العرب ، بل قام احد انذالهم ورمى عبد الرحمن بنبل ، قضى عليه ، بينما كان على حصانه ، يصول في تلك المعركة الحاسمة . وقد قال المؤرخان مالي واسحاق في تاريخها (القرون الوسطى) بالفرنسية : « إن معركة بواتيه قررت مصير بلاد الغول (فرنسا) وانقذتها من المسلمين » (ص ١١٧) .

إن عمل عبد الرحمن الغافقي كان عظيما ، لم يسبقه اليه احد من ولاة الاندلس ، ولو نجح في مسعاه ، ونفذ ارادته ، الكامنة في قرارة نفسه ، لكان مصير اوروبا آنئذ ، غير ما هي عليه اليوم .

لقد كان عبد الرحمن دولة في رجل واحد .

عبد الرحمن الداخل الاموي

عبد الرحمن ، هو ابن معاوية بن هشام بن عبد الملك ، كان ذكياً ، عاقلا ، مفكراً ، طموحا ، قوي الارادة ، جمعه السفاح عبدالله بن علي ، مع من جمعهم من رجالات بني أمية ، وكان عددهم ثلاثة وثمانين رجلا ، لقتلهم ، فلقي رجل عبد الرحمن وكان صنع به براً واولاه جميلا ، وقال له :

« اطعني اليوم في كلمة ، ثم اعصني الى يوم القيامة ! » .

فقال له عبد الرحمن :

« وما اطيعك فيه اليوم ؟ »

فأجابه :

« ادرك موضع سلطانك وقاعدتك : المغرب ، النجا النجا !!!

ففكر عبد الرحمن في الامر ، وعلم سوء نية السفاح ، فهرب هو وهذا الناصح . وقتل السفاح الامويين الذين بقوا (الامامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة ج ٢ ص ١٢٠ و ١٢١) .

أعماله في الأندلس :

دخل عبد الرحمن ، الاندلس وعليها يوسف بن عبد الرحمن بن ابي عبيدة الفهري صاحب الاندلس ، فحاربه وهزمه ، وملك عليها (عبد الرحمن) وهو ابن ثمان وعشرين سنة وقد بقي يوسف ممتنعاً حتى قتل سنة ١٤٢ هـ (ابن خلدون ج ٢ ص ١٤٥) ، وكان تملك عبد الرحمن على قرطبة يوم الاضحى سنة ثمان وثلاثين ومائة .

لقد قامت في وجه عبد الرحمن : عدة ثورات وحوادث في الاندلس ، ولكنه كان شجاعاً ، قويا في ارادته ، فصبر على حوازبها ، ثم تقوى عليها ، وشتت شمل رجالها ، وحارب الاندلسيين الاصليين الذين ظهرت رؤوسهم في أطراف البلاد ، فتمكن منهم وفتح كثيراً من بلادهم . وقد ظل هذا الملك الجبار حتى سنة ١٧٢ ﻫ فكان ملكه اثنين وثلاثين عاماً .

صقر قريش :

ان عبد الرحمن عظيم من عظماء العرب ، خلص نفسه من سيف السفاح ، كما بينا آنفا ، ثم ذهب الى بلاد نائية ، لاأحد له فيها ، فأوجد له ولولده ملكا كبيراً ، ومجداً بلغ السماكين .

قال الخليفة أبو جعفر المنصور لاصحابه : أخبروني عن صقر قريش ، من هو؟

قالوا : « أمير المؤمنين ، الذي راض الملك ، وسكن الزلازل ، وحسم الادواء واباد الاعداء .

قال : ما صنعتم شيئاً .

قالوا : فمعاوية !

فقال : ولا هذا

قالوا : فعبد الملك بن مروان !

قال : ولا هذا

قالوا : فمن يا أمير المؤمنين ؟

قال : « عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) الذي عبر البحر ، وقطع القفر ، ودخل بلداً أعجمياً مفرداً ، فمصر الامصار ، وجند الاجناد ، ودون الدواوين ، وأقام ملكا بعد انقطاعه ، بحسن تدبيره ، وشدة شكيمته .

ان معاوية نهض بمركب حمله عليه عمر وعثمان ، وذللا له صعبه ، وعبد

الملك ، ببيعة تقدم له عقدها ، وأمير المؤمنين يطلب غيره ، واجتماع شيعته ، وعبد الرحمن ، منفرد بنفسه ، مؤيد برأيه ، مستصحب لعزمه .

وقد قال عبد الرحمن لما توطد ملكه :

ما حق من قام ذا امتعاض منتضى الشفريتين نصلا
فبر ملكا وساد علماً ومنبراً للخطاب فصلا
فجاز قفراً وشق بحراً مسامياً لجة ربحلا
وجند الجند حين أودى ومصر المصر حين أجلى
ثم دعا أهله جميعاً حيث انتأى ، أن هلم أهلا
فجاء هذا طريد جوع شريد سيف أباد قتلا
فحل أمنا ونال شبعاً وحاز مالا ونال أهلا
ألم يكن حق ذا على ذا أوجب من منعم ومولى ؟

(العقد الفريد ج ٣ ص ٢٠٨) .

ومما قاله شوقي في عبد الرحمن الداخل :

في الشموس الزهر بالشام انتمى ونمى الاقمار بالاندلس
قعد الشرق عليهم مأتما وانثنى الغرب بهم في عرس

* * *

أيها اليائس مت قبل الممات أو إذا شئت حياة فالرجا
لا يضق ذرعك عند الازمات ان هي اشتدت وأمّل فرجا
ذلك الداخل لاقى مظلمات لم يكن يأمل منها مخرجا
قد تولى عزه وانصرما فمضى من عنده لم ييأس
رام بالمغرب ملكا فرمى أبعد الغمر وأقصى اليَبَس

* * *

اين يا واحدَ مروان عَلَمْ من دعاك الصقر سماه العقاب
راية صرفها الفرد العلم عن وجوه النصر تصريف النقاب
كنت ان جردت سيفاً أو قلم أبت بالالباب او دنت الرقاب

* * *

ما رأى الناس سواه علما لم يرم في لجة أو يبس
أعلى ركن السماك ادعما وتغطى بجناح القدس

(من كتابه : دول العرب وعظماء الاسلام طبعة مصر سنة ١٩٣٣ ص ٧٨ - ٨٦)

أبو جعفر المنصور

أبو جعفر المنصور : هو الخليفة الثاني العباسي، تولى الخلافة سنة ١٣٦ هـ، وهو ابن اثنتين وأربعين سنة ، وكان مفكراً ، عالما وحازما ، لا يبارى بقوة ارادته . لقد قهر الامويين ، ولم يترك لهم أثراً في جزيرة العرب، وقتل الداهية الكبير : أبا مسلم الخراساني ، وخذل العجم الذين فكروا في ابادة دولته ، وجمع العرب حوله ، بعد أن تفرقوا ، بسبب انتقال الخلافة من الامويين الى العباسيين ، فرفع شأنهم ، وعزز مكانتهم ، وأحسن الادارة ، ونظم أمور الدولة ، ونفذ فكرته في انشاء مدينة له ولجنده ،ورجال دولته، فأنشأ بغداد سنة ١٤٥ هـ ، وفتح من الفرات الى بغداد نهراً طوله ثمانية فراسخ، لكي تسير فيه المراكب ، فترتبط بلاد الشام ببغداد . ولكن هذا النهر قد أهمل بعدئذ .

من دهائه :

ومن دهائه : أنه لم يترك أحداً من العرب ، وغير العرب ، بلا مراقبة، ليقتل الفتنة قبل ظهورها ؛ ومن عمله أنه عرف في عمرو بن عبيد شدة ، فأراد أن يمتحنه في السياسة ، فأرسل اليه كتابا ، عن لسان محمد بن عبد الله ابن الحسن (الذي يدعو الناس اليه سراً) يدعوه فيه الى نفسه، فقرأه عمرو ثم وضعه ، فقال له الرسول : « الجواب ؟ »

فقال :

« ليس له جواب ، قل لصاحبك : « دعنا نجلس في هذا الظل ، ونشرب

من هذا الماء البارد ، حتى تأتينا آجالنا في عافية » فاطمأن المنصور اليه وقربه ، ومن قول المنصور :

كلكم ماشي رُويد كلكم خاتل صيد

غير عمرو بن عبيد .

وقال المنصور لولده (ولي عهده) : « لا تبرم أمراً حتى تفكر فيه ، فان فكرة العاقل مرآته ، تريه حسناته وسيئاته ، واعلم ان الخليفة لا يصلحه الا التقوى ، والسلطان لا يصلحه الا الطاعة ، والرعية لا يصلحها الا العدل ، وأولى الناس بالعفو ، أقدرهم على العقوبة ، وأنقص الناس عقلا ، من ظلم من هو دونه » (العقد الفريد ج ١ ص ٢٣)

لقد ساء ظن المنصور بأحد قواده المدعو : جهور بن مراد العجلي ، وكان في الري ، فأرسل اليه الوضاح بن حبيب ، فلم يزل هذا يؤانسه ويلاطفه حتى أظهر ما ظن به المنصور ، فكتب اليه بذلك ، فحال المنصور دون ظهور شيء .

دخل عبد الله بن الحسن الطالبي على المنصور ، وعنده اسحاق بن مسلم العقيلي ، وعبد الملك بن حميد الشامي الكاتب ، فتكلم عبد الله بكلام أعجب اسحاق ، ففهم ذلك المنصور (لان عبد الله يسعى للخلافة سراً) فلما خرج عبد الله ، قال يا غلام رده ، فلما رجع قال :

« يا أبا محمد ! ان اسحق بن مسلم حدثني أن رجلاً هلك بدمشق وترك مالا كثيراً وأرضاً ورقيقا ، وزعم أنه مولاكم وأشهد على ذلك . »

قال :

« نعم يا أمير المؤمنين ، ذلك مولانا ، فقد كنت أعرفه وأكاتبه » .

فقال المنصور :

« يا أسحاق ! أعجبك كلامه ، فاحببت أن تعرفه (عيون الاخبار ١ — ٢٠٩ و ٢١٠) وبذلك فقد قتل مزاحمه بكذبه .

لقد ظل هذا البطل يدير شؤون العرب ، ويرفع مكانتهم ، ويفتك

باعدائهم ، حتى فاجأته المنية في سنة ١٥٨ هـ ، وقد بلغ من السن ثلاثا وستين سنة .

فتوحه :

لقد بعث هذا الخليفة بجنوده ، الى اطراف البلاد التي في حوزة العرب ، وأذاق الاعداء الامرين ، وطلب ملك الصين منه حمايته من قومه ، فأرسل جنوداً من العرب الى الصين ، فحمى المليك ، وادخل الصين بأجمعها تحت نفوذه ، والجنود العرب ظلّوا هناك وتناسلوا ، ولا يزال أحفادهم يفاخرون بعروبتهم وانهم ابناء ابطال دنيا العرب ، وهم يبشرون بالدين الاسلامي هناك .

ومن جميل ما أنشده الشاعر العربي : طربح في المنصور :

انت إمام الهدى الذي أصلح الله به الناس بعد مافسدوا
واستقبل الناس عيشة أنفا ان تبق فيها لهم فقد سعدوا
رزقت من ودهم وطاعتهم ما لم يجده لوالد ولد
الّفت أهواءهم فأصبحت الاضغان سلما ، وماتت الحقد
وان ما قد صنعت من حسن مصداق ما كنت مرة تعد

(الاغاني : لابي الفرج ج ٤ ص ٣٢٤) .

ومما أنشده السيد الحميري فيه :

ان الاله الذي لا شيء يشبهه أعطاكم الملك للدنيا وللدين
أعطاكم الله ملكا لا زوال له حتى يقاد اليكم صاحب الصين
وصاحب الهند مأخوذاً برمته وصاحب الترك محبوساعلى هون

(الاغاني ج ٧ ص ٢٦٠) .

ما ينكر على المنصور :

رغم عظمة المنصور ، فاني انكر عليه تثبيت عرشه في العراق ، بدلا عن الشام ، لانه بذلك اقترب من الشعوبيين ، وهذا ماسبب ضياع دولة العرب .

هارون الرشيد

هارون الرشيد: هو خامس خلفاء بني العباس، تولى الخلافة سنة ١٧٠ هـ. وكان عظيم الدهاء والحكمة، قوي الارادة والتفكير، حكم فعدل، ونظم شؤون الدولة، فأحسن، وأعلى شأن الادباء والعلماء، فازدهرت بلاده، وأينعت قرائح العرب، فأغنوا مكاتبهم وخزائنهم، بجهودهم وآثارهم التي لا تزال باقية على الدهر.

قتله للبرامكة:

لقد رأى العجم، يعملون سراً، على تهديم دولة العرب، وكان البرامكة (العجم) على رأس اولئك الطغاة، ورأى، انه إذا صبر عليهم أكثر مما صبر، يخشى أن يصيب العرب من اعمالهم، بلية دهماء تلقي الامة العربية، وسلطانها، في مهاوي الهلكات، فبطش بالبرامكة، ومنهم وزيره جعفر البرمكي وأوقف العجم عند حدهم.

وقد قال الأصمعي في البرامكة:

اذا ذكر الشرك في مجلس أضاءت وجوه بني برمك
وان تليت عندهم آية أتوا بالاحاديث عن مزدك

(المعارف: لابن قتيبة ص ١٦٧).

هذا هو سبب نكبة البرامكة الحقيقي. بيد ان العجم، وأضداد بني العباس، دسوا في بعض الكتب ان الرشيد قتل جعفر البرمكي، بدعوى انه كان تزوج سراً من العباسة أخت الرشيد، وكان يختلي بها، وقد استولدها

ولدين ، ولكن هل يعقل ذلك ؟ بنت خليفة ، واخت خليفة ، تستسلم لمولى من مواليها ؟

ان في قصر الخليفة آنئذ ما لا يقل عن خمسة آلاف خادم وخادمة ، فكيف يمكن ان يجتمع جعفر بالعباسة ، في ذلك القصر او خارجه ؟

ثم ان المهدي والد هارون توفي سنة ١٦٩ هـ وهارون قتل جعفر سنة ١٨٧ هـ وبين موت المهدي ومقتل جعفر يوجد ١٨ سنة ، فكم كان عمر العباسة آنئذ وهل تصلح للحب ، وهل كان سنها يسمح لها بالحمل والولادة ، في بلاد حارة مثل بغداد ، ينقطع الحيض فيها باكراً ؟

أضف الى ذلك ان المهدي كان زوج ابنته في حياته ،وقد جاء في كتاب فتوح البلدان للبلاذري (المتوفى سنة ٢٧٩ هـ) الثقة في التاريخ ما يلي :

وأقطع المهدي العباسة إبنته إمرأة محمد بن سليمان الشرقي ، عبادان ، (وهي) قطيعة لحمران بن أبان مولى عثمان بن عفان، آلت اليه من عبد الملك ابن مروان (ص٣٦١) ولما مات محمد بن سليمان عنها زوجها أخوها هارون من ابراهيم بن صالح ابن على (المعارف : لابن قتيبة ص ١٦٦ ذلك العالم المشهور المتوفى سنة ٢٧٦ هـ) .

فأين هذه الحقائق من الروايات الباطلة ؟

واني لآسف أن المرحوم جورج زيدان ، قد روى ما اتهمت به العباسة عن اعداء هارون والعرب ، ولم يحقق فيما ذكرته آنفاً ، مع أنه كان ذلك العالم والمؤرخ المرموق ؛ كما اني اعتذر للقراء لتعرضي لهذا البحث في هذا الكتاب ،الذي كتب في موضوع خاص ، ولكنها فرصة سنحت لي ، فأردت بيان الحقيقة التي اعتقدها .

هارون والروم ، والثورات :

ثم عكف هارون على الروم الذين رفعوا رؤوسهم ، ففاز عليهم سنة ١٩٠ هـ فخفض تلك الرؤوس ، وأكره ملك الروم على دفع الجزية (تاريخ

ابي الفداء ج ٢ ص ١٨) وشتت شمل تلك الجموع ، وافتتح هرقلة . وقامت ثورات في داخل بلاد الخلافة ضده ، فقضى عليها كلها ، فعم السلام كل بلاد العرب ، وبلاد الخلافة ، في عهده الميمون .

ارادته :

ان هارون كان من الذين أعلوا شأن أمتهم العربية ، وجعلها تاخذ العشور والخراج من كل مكان تسح عليها المزن شآبيبها ، في الشرق والغرب ، وجعلها تلعب بالفضة والذهب والجوهر ، حتى جاء أجله سنة ١٩٣ هـ في بلاد العجم ، حيث كان يحارب بنفسه هناك من عصى عليه ، وكان عمره ٤٧ سنة فقط .

قال أشجع بن عمرو لهرون الرشيد :

وعلى عدوك يا ابن عم محمد رصدان : ضوء الصبح ، والأظلام
فاذا تنبه رعته واذا هدا سلت عليه سيوفك الاحـــلام

وقال الحسن بن هاني (أبو نواس) :

ملك تصور في القلوب مثاله فكأنه لم يخـل منه مكان
ما تنطوي عنه القلوب بعجرة الا يكلمه بهـا اللحظـــان

(العقد الفريد ج ١ ص ٢٢) .

المأمون

المأمون : هو سابع خليفة من بني العباس ، وصل الى الخلافة سنة ١٩٨هـ وكان حازماً شـــديد المراس ، لقد قتل الفتنة التي ظهرت ضده في كل مكان ، وحارب الروم في سنتي ٢١٥ و ٢١٦ هـ وانتصر عليهم (أبو الفداء ج ٢ ص ٣٠) وأوقف العجم عند حدهم ، رغم نصرتهم له .

ميله للعلم :

ان المأمون كان عالماً ، ممتازاً ، وكان يعمل على رفع مكانة العرب العلمية ، وقد قاس الارض وتمكن من معرفة خط الاستواء ، ومسح الارض لطرح الضريبة بالعدل ، وأتى بالتراجمة لترجمة كتب اليونان العلمية ، ولم يأبه لمعارضة رجال الدين .

وكان يستجلب أحسن الكتب من القسطنطينية لترجمتها ، وبذلك فقد جعل نهضة علمية في البلاد ، وأظهر علماء مجدين في الامة العربية ، ينصبون على دراسة تلك العلوم ، ويأتون بأحسن منها ، وقد قرب اليه العلماء والادباء والشعراء ، ومنحهم الاعطيات الكثيرة .

عدله :

جلس المأمون يوماً لقضاء حوائج الناس ، فتقدمت اليه امرأة شاكية ، فقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين ، ورحمة الله وبركاته . فقال لها : «وعليك السلام ، أين الخصم ؟» فقالت : الواقف على رأســـك ، يا أمير المؤمنين !

(وأومات الى العباس ابنه) ، فقال المأمون : «يا أحمد بن ابي خالد ! خذ بيده فأجلسه معها مجلس الخصوم » فأجلسه ، وجعلت المرأة تتكلم ، وكلامها يعلو على كلام العباس، فقال لها أحمد: يا أمة الله ! انك بين يدي أمير المؤمنين وانك تكلمين الامير فاخفضي صوتك .

فقال المأمون :« دعها يا أحمد ، فان الحق أنطقها وأخرسه » ثم قضى لها برد ضيعتها اليها ، وعاقب العباس لظلمه لها ، وأمر بالكتاب لها الى العامل ببلدها أن يحسن معاملتها وأمر لها بنفقة (العقد الفريد ج ١ ص ١٧) .

وقد ظل المأمون الحكيم العاقل ، يعمل بارادته القوية لامته وبلاده حتى جاء أجله سنة ٢١٨ هـ وعمره ٤٨ سنة .

محمد المعتصم

محمد المعتصم، هو ابن هارون الرشيد ، وهو ثامن خلفاء العباسيين ، تولى الخلافة سنة ٢١٨ هـ ، وكان بطلاً جباراً ، وحازماً فعالا ، قوي الارادة لا يهاب الموت .

إرادته :

لقد قامت في زمنه فتنة ضده فأفسدها ، وحارب الروم ففاز عليهم ، وعند محاصرته لعمورية (في بلاد الروم) سنة ٢٢٣ هـ كان الفصل فصل شتاء بارداً ، فتوقف جنده عن العمل ، لكثرة البرد والثلج ، والصيام (شهر رمضان) فصار يضرب النبال وحده على المدينة ، حتى افتتحها .

وفي أيام خلافته ، صلب الأفشين عظيم الترك سنة ٢٢٦ هـ الذي أراد بالبلاد سوءاً (أبو الفداء ج ٢ ص ٣٤) مع أن الاتراك : وهم أخواله ، كانوا ينتظرون أن يكونوا بوساطته كل شيء في الخلافة .

وقد قال الطائي يصف عموريه :

بكر فما افتر عنها كف حادثة ... ولا ترقت اليها همة النوب
جرى لها الفأل برحاً يوم أنقرة ... اذ غودرت وحشة الساعات والرحب
لما رأت أختها بالأمس قد خربت ... كان الخراب لها أعدى من الجرب

(عيون الاخبار لابن قتيبة ج ١ ص ١٥١)

عمرانه :

وكان المعتصم ميالا الى العمران ، ففكر في بناء مدينة ليتخذها داراً ، ومعسكراً ، فمضى الى سر من رأى ، فابتنى هناك مدينة سنة ٢٢٠ هـ (المعارف لابن قتيبة ص ١٧١) وقد أصبحت هذه المدينة من البلدان الهامة، وقد علمت ممن يوثق بهم من زائريها انه كان فيها شارع طويل، عرضه لا يقل عن المائة متر .

ولقد ظل المعتصم فاتحاً وعمرانيا حتى جاء أجله سنة ٢٢٧ هـ .

المغيرة بن شعبة

ضرار بن الازور

عبد الله بن ابي سرح

عبد الله بن عامر

الأحنف بن قيس

إن عند العرب مئات وآلافاً من الرجال الذين امتازوا بارادتهم وشجاعتهم ، والذين تغلبوا على كل الصعاب في حياتهم ، ولكن يصعب البحث عنهم في هذا الكتاب ، ومن هؤلاء :

المغيرة بن شعبة :

وكان واسع التفكير ، حسن الادارة ، قوي الارادة ، وكان والياً على الكوفة لعمر بن الخطاب (رض) ثم لمعاوية ، وقد توسع في الفتوح وكان موفقا. والمغيرة ، يعد من دهاة العرب النادرين .

ضرار بن الازور :

كان محاربا كبيراً وكان يحارب في صفوف العرب عند فتح الشام (سورية) وكانت أخته خولة معه ، وقد اشترك في فتح مصر أيضاً ، وكان في ميادين الحروب فارسا مغواراً ، وبطلا جباراً ، وكان التوفيق حليفه .

عبد الله بن ابي سرح:

كان والياً على مصر سنة ٢٧ هـ وبعدها ، وقد افتتح مقاطعات واسعة في افريقية ، وامتدت فتوحه الى جزر البحر المتوسط ، حتى إن معاوية (والي الشام آنئذ) عندما غزا قبرص بنفسه سنة ٢٨ هـ وجد عبد الله بن ابي سرح قد أتاها أيضا من مصر لفتحها، فكان معاوية على الناس (الطبري ج٣ص٣١٨) وقد قام عبد الله ، باعمال باهرة في حروب البحار وخاصة سنة ٣١ هـ عندما كسر اسطول قسطنطين بن هرقل وكان خمسمائة قطعة ، في عرض البحر المتوسط ، وانهزم قسطنطين مجروحا .

عبد الله بن عامر :

كان محاربا كبيراً ، واداريا ممتازاً ، ذا ارادة فعالة . لقد عمل كقائد في فتوح بلاد خراسان وما بعدها ، وأمير في البصرة ، وقد افتتح سنة ٣١ و٣٢ هـ ابر شهر ، وطوس ، وبيوردونسا ، ومروروذ ، والطلقان ، والفارياب ، والجوزجان ، وطخارستان ، وكان على مقدمة جيوشه الاحنف بن قيس .

الاحنف بن قيس :

هو رئيس آل تميم وآل سعد. رجل الحرب ، ورجل الحكمة والدهاء، ورجل الارادة ، لقد كان يحارب في بلاد الفرس وما وراءها سنة ٢١ - ٣٣ هـ تحت قيادة عبد الله بن عامر ، فكان بطلا موفقا ، في تلك المواقع الرهيبة ، ولما هاجم أهالي طخارستان والجوزجان ، والطالقان ، والفارياب ، لم يكن معه سوى اربعة آلاف مقاتل بينما كان في تلك البلاد ثلاثون الف محارب ، فاستعد الاحنف لهم ، وهاجمهم ليلا حتى الصباح ، فهزمهم بعد أن قتل منهم خلقا كثيراً . ولما انتقض أهل خراسان ، ذهب اليهم ففتح المروين : مرو الشاهجان صلحا ، ومرو الروذ بعد قتال شديد . وقد عرض أهل مرو عليه أن يساعدوه في الحرب، فأبى ذلك لأنهم أهل شرك (الطبري ج٣ ص٣٥٥-٣٦٠)

وفي وقعة الجمل أخلص لعلي ، بان أبعد آل تميم وآل سعد عن مساعدة عائشة واعتزل بهم ، أما في حرب علي ومعاوية ، فكان مع علي ، وقد كره التحكيم بين علي ومعاوية لاعتقاده أن علياً (رض) كان على حق ، وذاك على باطل ، وكره أن يكون أبو موسى الاشعري مندوب علي ، لما يعلمه فيه من ضعف التفكير .

وللأحنف آراء حكيمة وجبارة تدل على كبر عقله وقوة ارادته .

ما الذى أضاع قوة ارادة العرب ؟

لقد بحثنا قوة ارادة اولئك العرب الأنجاب ، وهنـــا نبين كيف ضاعت بعدئذ ، تلك الارادة ، ومن أضاعها ؟

مما لا ريب فيه أن قوة الارادة ، تصبح مع الزمن وراثية في بعض الأفراد ، فاذا لم يستعملها المرء تضعف فيه ، ثم تختفي في نسله ، ثم تتلاشى . والعرب الذين بهروا العالم بقوة ارادتهم ، قـــد ورثوها من أبنائهم ، كأبناء عبد الله بن العباس ، وعبد الملك بن مروان ، والحجاج ، وموسى بن نصير ، وعقبة بن نافع الفهري ، وقتيبة بن مسلم الباهلي ، الذين شرفهم آباؤهم بتلك الارادة ، فحفظوها هم بدورهم ، بما أتوه من الحزم وقوة الارادة ، ولكن الزمان قد قهر هذه الاسر ، كما قهر الامة العربية الكريمة بعد ذلك مجتمعة ، فأضاع استقلالها وسيادتها ، وداهمها حكام ليسوا منها ، فهاجموها في عقر دارها ، فغدا العربي الحازم ، والعربي المفكر ، والعربي الشجاع ، والعربي العزيز ، هائمين على وجوههم في الآفاق ، ترصدهم المنايا ، وتفتك بهم ، وتلجمهم السيوف القواطع ، فمات الطموح ، وماتت العبقرية ، وماتت الاخلاق ، بل مات كل شيء فيهم ، لما حل بالبلاد من البلايا والرزايا ، والاستبداد ، والاستعباد ، وبما منيت به الامة العربية من الذل والصغار .

والعربي كبقية الامم الناهضة ، لايستطيع أن يعمل شيئاً ، الا اذا كان مستقلاً في وطنه ، سيداً في أمته ، ترفرف فوق رأسه راية العروبة التي كان يحملها رئيسه العربي ، في ميادين الحروب الحاسمة ، حيث يذود عنها ، بروحه

ونفسه ، لأنه يعتز بالعروبة ، وبالسيادة العربية ، وبالتراث العربي، ولذلك عندما رأى أنه أصبح في حكم غير عربي ، نام ، وأهمل ذلك الميراث العظيم الذي كان جعله مفخرة من مفاخر الدهر ، فجدب عقله ، واقفرت نفسه بذهاب حريته ، وأصبح ولده محرومين من هذه المواهب ؛ نعم ، ان ذكاء آبائهم ، يشع فيهم ، ولكنهم متواكلون ، ينتظرون من يشغلهم ويقودهم ويطعمهم ويسقيهم ويكسوهم ، ثم يدفنهم ويبكي عليهم ، بينما آباؤهم العباقرة لم يستسلموا الى الموت ، بل كانوا يعلنون عليه حرباً شعواء .

لقد علم الحكام الغرباء بروحية العربي ، فكان بعضهم يقسو عليه لاخضاعه واذلاله ، وبعضهم يداريه ويعطيه ما يطلبه ، ليقتل في نفسه الرجولة، وبذلك وصل ذلك الغريب الى ما يبتغيه من جعل العربي: مطيعاً طاعة عمياء، بينما كانت طاعة آبائه لرؤسائهم عن عقيدة وعقل ، وعندئذ فتحوا له الكايا ليتناول حساءها ، وبنوا له الجوامع ليصلي فيها آناء الليل وأطراف النهار ، ويهمل الجد والعمل ، ويطلب الاكل والشرب من الله ، الذي خلقه فأحسن صورته ، ولكنه أبعده عن قوة الارادة والحزم والنشاط ، والتفكير ؛ وفسحوا له في الساحات أو أمام قصور الحكومة ، ليجتمع هناك مع غيره ، وينادي بأعلى صوته ، يعيش الملك كثيراً (باد شاهم جوق يشا) وأولجوه الثكنات العسكرية ليأكل الخبز ، ويحسو الحساء ، ويجاهد في سبيل ملك البلاد ، ملك البرين والبحرين ، وظل الله في أرضه ، ويموت فداء وطن ليس له فيه ذكر أو اسم أو علم أو عزة .

ومن المحقق ان هذه الاستكانة والتواكل قد أفقدت العربي قوة ارادته ، وبفقدان الارادة، يفقد المرء قوة التفكير والنشاط والحزم ، والاخلاق ، ويسرع الفساد الى جميع مرافق حياته ، وعندها يصبح بلية على الدهر ، الذي لا يغفر له هذه المساوىء ، ولا يشفق على من لا يهزه ، ويعمل في حقوله ، ويتمتع بنعمائه .

وقد بحث الاستاذ المصري الكبير : أحمد حسن الزيات ،رزايا الشعوبيين بحثاً قيما ، ومما قاله :

« انتكث فَتْل العباسيين كما علمت في بغداد ، بعد عهد المتوكل ، لتنافس الفرس والترك ، وتحارب الشيعة والسنة ، وذهاب جلال الخلافة من النفوس ، فاعتورها الارزاء ، واصطلحت عليها الاعداء ، حتى قوض عرشها هلاكو سنة ٦٥٦ هـ ،وتضعضع أمر الامويين في الأندلس ، بتغلب البربر والموالي على ملكهم ، وتقسيمه بينهم الى دويلات صغيرة ، سهل على الفرنج ازدرادها قطعة قطعة ، حتى ابتلعوها لقمة سائغة . ودالت دولة الفاطميين في مصر والشام فوقعتا في يد الايوبيين (الاكراد) ثم صارتا الى المماليك ، وظلتا تحت سلطانهم ، حتى دخلتا في حكم الاتراك العثمانيين سنة ٩٢٣ هـ . فأنت ترى أن العالم الاسلامي ، أتى عليه ستون وخمسماية عام ، لم يكن للعرب فيها لواء معقود ، ولا ظل ممدود ، بل أصبحت ديارهم وآثارهم نهباً مقسما بين المغول والترك والكرد والفرس والمماليك ، ثم الاسبان بعد قليل ، ووضع هؤلاء العجم وهم وحشيون أميون، أيديهم على تراث العرب فخربوا الدور ، وهتكوا الحدور ، وفجعوا اللغة وآدابها وعلومها بتحريق المكاتب ، وتعطيل المدارس ، وتقويض المراصد ، وتقتيل العلماء . وناهيك بما فعله التتار ببخارى وببغداد ، والصليبيون بالشام ، والفرنج بالاندلس ! فلو أن الزمان عَفّى على اللغة العربية وألحقها بأخواتها السامية ، لما كان ذلك بِدْعا من القول ، ولا حدثا في التاريخ . ولكنها بقيت على مرغمة الحوادث ، لسانا للدين والعلم ، ولغة الحكومة ، (لان اللغة العربية كانت لغة بني بويه العجم ، والترك غير العثمانيين ، والكرد والجركس في الدواوين) والامة في بلاد المغرب ومصر والشام وبلاد العرب والجزيرة . ولولا نَعْرَةُ الترك وعصبية الفرس لكانت لغة المسلمين كافة .

ثم قال تحت ذلك العنوان : « فلما أدال الله بني عثمان من المماليك ،

أصبحت الخلافة عثمانية لا عباسية ، وصارت عاصمة الاسلام القسطنطينية ، لا القاهرة ، واللغة الرسمية التركية لا العربية ، ففشا في اللغة الدخيل،وزاحمتها العامية والتركية في الدواوين ، وذهبت أساليبها من النظم والنثر ، وتمكن الذل من النفوس ، فخمدت القرائح ، ونضب معين العلم ،واطمأنت الكتب في الخزائن ، فلم يزعجها الا اشتعال الارضة في صفحاتها ، وضرب الجهل على أبصار الشرقيين فعموا ، وفدحتهم أعباء الذل فرزحوا ، وطال عليهم الأمد فغشاهم النعاس ، وخيم عليهم الظلام ، فلم يستيقظوا الا بمدافع نابليون على أبواب القاهرة » (من كتابه تاريخ الادب العربي الطبعة الخامسة سنة ١٩٣٠ ص ٣٤٥ - ٣٤٨) .

وقال الاستاذ المحامي ، والمؤرخ البارع : محمد عبد الله عنان المصري ، باحثاً حالة مصر :

« ولكن الامة المصرية ، شهدت منذ الفتح الاسلامي ، تطوراً جوهريا في تكوينها الاجتماعي ، فقد استطاع العرب في أقل من قرن ، ان ينشؤا أمة اسلامية ، وان يجعلوا منها وحدة اجتماعية ، من وحدات الامبراطورية الاسلامية الكبرى ، واندمج الغالب والمغلوب في أمة جديدة ، موحدة ، تدين بالاسلام وشرائعه ، وتتكلم بلغته ، وتضطرم بروحه ، ولم يأت القرن الثالث عشر من الهجرة ، حتى أضحى التمييز عسيراً بين السلالة العربية النازحة ، وبين السلالة المصرية المسلمة »

ثم قال : « وكانت مصر الاسلامية أمة مستقلة حين غزاها الترك العثمانيون،وحطموا بها صرح حضارة إسلامية زاهرة،تكدست على ممر العصور ، ولقد كان الفتح العثماني عملاً همجيا ، كما كانت فتوح القبائل البربرية ، في أقطار الدول الرومانية ، ولم يكن عملاً إنشائيا ، كما كان الفتح الاسلامي » (من مقالته في الرسالة المصرية عدد ١٠ ديسمبر سنة ١٩٣٤)

هذا ما قاله العربيان المصريان عن انحطاط الشعوبيين وتضرر العرب من

حكمهم . واليك ايها القارىء الكريم ما قاله كبار رجال الاتراك (العثمانيين) المخلصين لوجدانهم عن وحشية اولئك الشعوبيين ، وكيف ذهبت المدنية العربية ، بعد ان زال ملك العرب ، وقد ترجمتها عن لغتهم التركية :

قال شمس الدين سامي الكاتب التركي الكبير وصاحب المعاجم المشهورة ما تعريبه :

« إن جنكيز وأحفاده ، والذين تحت إمرتهم من الوحوش — وهم أتراك — هم الذين أضاعوا آثار المدنية الاسلامية (يقولون عن المدنية العربية : المدنية الاسلامية ليدمجوا قومهم فيها) وجعلوا العمران والمدارس والمراصد ، ودور الكتب خرابايبابا ، فحرموا المسلمين والعالم ، من الآثار والكتب التي اوجدت في ستة قرون » (عن المجلد الثالث من قاموس اعلام ص ١٨٨١ — ١٨٨٢) اي أنهم أضاعوا دولة العرب في العراق .

وقال الاديب التركي الكبير سليمان نظيف بك الذي كان واليا في عدة ولايات ، في سلسلة مقالاته ما ترجمته :

« ان جهاد عبد الرحمن الغافقي في سهول بواتيه (فرانسا) هو عندي ، أشرف وأثمن من المذبحة الملعونة التي خلفها هلاكو (سنة ٦٥٦ هـ) في بغداد ». ثم قال : « ان افول الخلافة العباسية يوقظ فيّ الآلام النائمة ، ويستدرف من عيني الدمع السخين . إني وان كنت لست بعربي ، ومع كوني تركيا ، فاني سأبقى مغموما لذلك الأفول ابد الحياة ، وان اسم هلاكو سيكون عندي من أكره الاسماء .

ثم قال : « ان مليكنا ليس جنكيز خان ، بل عمر الفاروق ، وان اردأ خليفة أموي ، هو عندي محترم اكثر من هلاكو ، وأجداده واحفاده »

ثم قال : « ان العرب هم الذين أرشدونا ، وهم أساتذتنا ، وهم الذين مدّنونا ، بل كل شيء ، فاذا اعدنا ما عندنا من العرب الى العرب ، فلا يبقى لدينا سوى جبة ذات اكمام طويلة »

وقال : « ان ميراث السلطان عثمان (مؤسس الدولة التركية) المقدس لا يحفظ بذكريات مظالم جنكيز ، بل يحفظ بمتروكات النبي (ص) المباركة ، هذه حقيقة واضحة »

وقال : « عفا الله عن خطايا أبي مسلم الخراساني ، فانه عندما قام ضد الأمويين بالاغواء والاغراء ، بدا بتحريف الحسيات الدينية ، كما فعل الشاه (ملك العجم) اسماعيل صفوي (هو اسماعيل بن صفي الدين ، من أولاد علي ابن أبي طالب (رض) الذي كان شيعياً ، والسلطان سليم سنياً ، وكان ذلك سنة ٩٢٠هـ و١٥١٤م) ، حيث سعى بتحريض الناس ضد هذا السلطان باسم المذهب .

وقد يتعجب الانسان عندما يراني أبحث عن أبي مسلم بهذا اللسان ، لانه قرأ أقوال اكثر المؤرخين الذين وصفوا أبا مسلم : مجاهداً كبيراً .

إني من الذين يعتقدون أن انقراض الامويين كان ضرراً فادحا على الاسلام ، لان مناطق الاسلام ، وان كانت صغرت اليوم ، ولكنها هي ولا شك البلاد التي فتحها أولئك الامويون ، وجعلوها ضمن دولتهم ، وقد تبين أن مقدرات الأمة الاسلامية قد تضعضعت ووهنت ، عندما نقلت الى سلاطين العباسيين (وذلك لتغلب الشعوبيين على العباسيين بعد المأمون ، ولكنه تحاشى إيضاحه) وقد انقطع انتشار الدين الاسلامي ولم تتسع دائرة نفوذه » .

(من سلسلة مقالاته في مجلة اجتهاد التركية في ١١ تموز و٥ ايلول ١٩١٣)

وقال التركي المشهور نامق كمال بك ما ترجمته :

« مما لا شبهة فيه ، ان الانسانية قد بليت بمصائب جمة ومنها الطوفان ، ولكن أهمها ، هو استيلاء التتر على البلاد . ان جنكيز الممزق أكثر من النمر ، والخائن اكثر من الحية ، والرئيس الجبار ، وصاحب الدسائس الشيطانية ، قد ساقته شروره وحبه لسفك الدماء ، فأتى بملايين الوحوش ، من صحراء آسيا ، لهدم البلاد وقتل البشرية ، لذلك فهو عندي بلية أكثر من الطوفان لأن الطوفان هو طوفان الماء ، أما طوفان التتر فهو طوفان النار والدم ،

لان بعض هؤلاء التتر ، اذا هجموا على مدينة ما ، فانهم لا يبقون في تلك المدينة الا اكواماً من العظام ، وركاما من الخرائب .

ان جيوش هولاكو (التتر) لم تمر بمكان ما الا وخيولهم سابحة في الطين الممزوج بدم البشرية . »

وقال الكاتب التركي محمد شرف بك (من أدرنه) تحت عنوان « أمام تاريخ سقوط الاسلام » (جنكيز ، هلاكو ، تيمورلنك) ما ترجمته :

« ان من يدقق في سبب سقوط البلاد الاسلامية ، يرى أن ذلك ناشيء عن الجهل والتعصب. قبل ١٣٠٠ سنة قد أشرق النور في سماء مكة ، وأضاء الكائنات المظلمة ولم يتبع احد ذلك النور ، الا لانه نور المدنية والمعارف ، وقد اخرج ذلك النور من البادية ، التي تلتهب رمالها بحرارة الشمس ، جيشا عظيما ، ملك عنان ثلاث قارات كبيرة في العالم ، وأدخل عليها جيوشه ، ولسانه ودينه ، فجمع أهلها تحت راية واحدة .

وقال : « ان السفاح الذي قضى على دولة الامويين ، قد جعل اخلافه بلاد العرب مركز المدنية في العالم .

وقد انتشرت المدنية الاسلامية ، فصارت الحركات الجوية تدقق في أعالي جبال سنجار ، وكانت بغداد وقرطبة ومصر تبعث نور العلم والفنون ، الى كل البلاد .

مما لا شك فيه ان أيام خلافة العباسيين السعيدة ، كانت من اثر العلماء والمفكرين (اي العرب) .

وكانت المباحث الدينية والرياضية والفلسفية ، والحقوق الشرقية ، تجري بكل وضوح وحرية ، وكان العلماء أنى ذهبوا ينثرون علمهم ومدنيتهم . هكذا كانت مدنية الاسلام ، ولا يمكن لاحد ان ينكر ، ان لمدنية الاسلامية كانت تغمر بحق ، الزمان الذي انقضى بين القرون الاولى والاخيرة (الهجرية)

ان المدنية الاسلامية هي محصول اولئك العلماء والمفكرين (العرب) ، ولكنها ويا للأسف قد أفلت في القرن السادس الهجري ، ولم يبق لدينا سوى أثرها المحزن . فمن الذي محا تلك المدنية ؟ ولماذا محيت ؟ وكيف كانت عندما ظهر جنكيز خان ؟

ان هذا الداهية ، الذي ساق معه الدم والنار ، الى اي محل هبطه ، عندما ظهر في ميدان التاريخ ، كانت المدنية الاسلامية ، قد اكملت بداية أدوارها ولمعت أنوارها ، وكانت سائرة الى الامام كالبرق الثاقب .

ثم قال : « ان جنكيز ، كان يسوق قبائل المغول تحت لوائه ، بلا أمل أو مقصد ، الا التلذذ بسفك الدم ، وحرق البلاد ، والعمل الوحشي .

لذلك فان جنكيز هو المسئول عن سقوط الاسلام (اي سقوط دولة العرب) وان السعي لتبرئته ، إن هو الا تغيير في الحقائق التاريخية .

ان جنكيز بهدمه المدنية الاسلامية ، قد جعل فراغا هائلا بين البشرية المظلومة ، وقد مرت العصور وهي مجللة بالجهل والظلام ، وان صحائف التاريخ الاسلامي قد كتبت هذه الرزايا بدماء تلك الملة الاسلامية التعيسة ، (وهو يقصد العرب)

« اما هولاكو فهو ماحي المدنية الاسلامية في بغداد ، والمعفّي على الخلافة العباسية هناك وكفى » (عن مجلة : اجتهاد التركية ، اعداد آذار سنة ١٩١٤ رقم ٩٦ و ٩٧ و ٩٨ و ٩٩)

وقال المؤرخ التركي الكبير احمد رفيق بك قبل الحرب العامة الاولى ما ترجمته :

« ان دور الانحطاط قد بدا بتحكم العلماء ، فالتربية الفكرية العثمانية لم ترتق ابداً ، لان العلماء كانوا يمانعون في ذلك ، بل انهم كانوا السبب في عدم ظهور نزاهة وفضيلة الدين الاسلامي .

وان الدين الاسلامي الذي اوجد الافكار السامية في ادمغة العرب ،

وجعل المدنية تشرق بنورها الوضاء في البلاد العربية ، وأظهر الذكاء الوقاد في المحيط العربي ، ذلك الدين الحنيف ، اصبح كأنه هو الذي منع الرقي الحقيقي في البلاد العثمانية ، وذلك لوجود أولئك العلماء الجهلاء ، وبسبب تعصبهم الذميم» (من كتابه : قباقجي مصطفى)

وقال أيضا قبل الحرب العالمية الاولى ما ترجمته :

« ان الظلم والعادات الدامية ، التي ظهرت في الدولة العثمانية ، قد أتت من سوء حالة ملوكها، وميلهم الى الظلم والطغيان ، وخاصة من حالة السلطان سليم الثاني، وإغراقه في المسكرات ، والخلاعات، ومراد الثالث وشدة افراطه في الميول النسائية، ومحمد الثالث وطبيعته الضعيفة ، ومصطفى الاول وخفة عقله ، ومراد الرابع وبطشه وانهماكه في المسكرات ، والسلطان ابراهيم وميوله الشاذة، ليحافظ على توازنه العقلي، كل ذلك قد دلنا على تبدل كلي في حالة ملوك الدولة » (من كتابه كوبرو لولر)

هذه هي أقوال علماء الاتراك ، عن الشعوبيين ، الذين كادوا للعرب ، فأضاعوا ملكهم ومجدهم ، وبذلك ضاع مجد الاسلام ، مع أن النبي محمد (ص) حذرهم من ذلك : اذ قال لهم :

« أحبوا العرب لثلاث : لأني عربي ، والقرآن عربي ، وكلام أهل الجنة عربي »

« اذا ذلت العرب ، ذل الاسلام »

(عن الامام اسيوطي ص ٣٢ و ٨١)

« لا يبغض العرب الا منافق »

(السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٣)

لقد ترك هؤلاء الشعوبيون العالم ، يسرح ويمرح ، وأتوا الى العرب يحكمونهم ، ويسومونهم سوء العذاب ، والعربي الذي ضيع تراث آبائه مع الزمن ، صار يراهم مسلمين مثله ، لا فرق بينه وبينهم ، بينما كانوا يتآمرون عليه فيما

بينهم ، ويضعون الخطط الجهنمية للقضاء عليه ، وعلى تاريخه . وكانوا أول ما يفعلونه قتل أفراد العرب البارزين ، كما فعلوا في الحرب العامة الاولى .

ورحم الله المتنبي القائل :

أما في هذه الدنيا كريم ... تزول به عن القلب الهموم ؟
أما في هذه الدنيا مكان ... يُسر بأهله الجار المقيم ؟
تشابهت البهائم والعبدّى ... علينا والموالي و الصميم
وما أدري اذا داء حديث ... أصاب الناس أم داء قديم
حصلت بأرض مصر على عبيد ... كأن الحر بينهم يتيم

(عن ديوانه ص ٤٣٠)

ومن البلية ان العربي قد انهمك في التسري بغير العربيات ، والتزوج منهن ، وبذلك فقد خلط دم ابنائه بدم غريب ، بينما من المحقق ان العربي ان اختلط دمه بدم غريب ، يفقد مواهبه الطبيعية ، ونشاطه ، وارادته ، وذكاءه ، على انه يصبح قوي الجسم ، مفتول العضل ، للقتال ، وحمل الاثقال فقط ، وبذلك فقد أساء المتزوجون من غير العربيات ، الى قومهم ، باندفاعهم وراء شهواتهم البهيمية .

لذلك كان حقاً على الامة العربية ، ان تنتبه الى هذه النواحي الهامة ، وتعمل على تقوية ارادتها ، لتتمكن من التغلب على الجهل والخمول ، وتقوّم ما اعوج من أخلاقها ، وتعيد اليها صحيح تفكيرها ، وسيادتها واستقلالها ، وتصفي دمها من دم الشعوبيين ، وتحترز منهم ، لانهم يعملون على التغلب عليها دوماً ، كما جرى في عهد حسني الزعيم الشعوبي المشؤم في سورية ، في أوائل سنة ١٩٤٩ .

* * *

وبعد بحثنا هذا عن ارادة العرب ، وكيف كانت ، ثم كيف دالت ، سيجد القارىء في الصفحات الآتية نبذة عن قوة ارادة الامم الاوروبية والامريكية ، وأقوال علمائها ، ولعل في ذلك عبرة لنا : نحن العرب .

الاوروبيون والامريكيون والارادة

لقد لعب الاوروبيون والامريكيون دوراً هاماً في هذا العالم ، وقاموا بأعمال جد خارقة ، فشادوا الممالك ، وأكثروا من الاختراعات العظيمة ، التي تدل على نبوغهم وثقافتهم العالية ، وعمروا بلادهم حتى أصبحت جنات زاهية ، ورفعوا شأن العلم في مدارسهم ، فلم يبق أميون يذكرون فيهم ، وسيروا أمهم على المناهج النافعة ، وحموا بلادهم من المعتدين ، بحسن العمل في الداخل والخارج ، وهاجموا الغرباء الضعفاء ، ليعيشوا على أكتافهم أقوياء ، وذللوا الأرضين ، لتعطيهم ما يكفيهم لحاجتهم ، فصارت تعطيهم أكثر مما طلبوه ، كل ذلك لأن الذين قاموا بالاعمال هناك ، كانوا رجال ارادة ، وهذه الارادة الفولاذية ، هي التي جعلت النجاح حليفهم ، ورفعتهم الى شواهق المجد.

والثقافة العالية ، والجد المتواصل ، قد خلقا في الاوروبيين والامريكيين ، علماء نفسيين ، عرفوا كيف يسلكون السبل المستقيمة ، ويوجهون قومهم للسير عليها ، بآرائهم الصائبة ، وارادتهم الجبارة ، واخلاصهم في عملهم . وبذلك بلغوا ما كان ينشده : آباؤهم الأولون ، ولم يتأت لهم الوصول اليه .

أوريسون سويت ماردن :

ومن أجمل ما قيل عن الارادة ، وعن الطريق التي يجب السير عليها لبلوغ الهدف ، هو ما قاله الفيلسوف الامريكي أوريسون سويت ماردن ، في كتابه : (قوة الارادة) اذ قال :

« إن ترقية الارادة وتقويتها ، هي العامل الاقوى في النجاح ، ولا يقدر المرء أن يحدد ما هو ممكن مع قوة الارادة .

إن عدداً كبيراً من رجال التاريخ لم ينخذلوا ، مع ما اشتهروا به من الشجاعة ، والحنكة ، والحكمة ، ، والذكاء ، الا لترددهم وضعف إرادتهم . (ص ١٨) .

وقال :

« الرجل القوي الارادة ، هو الذي يجمع قوة فكره ، في خزان العقل ، ويصبها على دولاب العمل الذي يعمله ، والرجل الذي لا يبتدىء في أول أدوار الحياة ، بجمع قوى عقله وارادته ، ويصبها كلها في طريق واحدة ، قلما يؤمل نجاحه في معترك هذه الحياة .

والنجاح ليس بمقدار عمل المرء وفوزه ، ولكنه بالثبات على العمل واتقانه ولا سبيل لهذا الثبات ، والاتقان ، الا اذا استطاعت قوة الارادة احتمال المصاعب والصبر على المتاعب . »

ثم قال :

« ان فريقاً كبيراً من الناس حائزون على القوة الكافية ، لمباشرة أصعب الامور ، ولكن يخونهم الجلد ، ويعوزهم الثبات ، والشجاعة على المواظبة ، فينقاعسون لدى أقل العراقيل التي تعترضهم ، ويعجزون عن اتمام ما ابتدأوا به ، الا اذا أتتهم مساعدة من غيرهم ، وما ذلك الا من ضعف الارادة فيهم » (ص ٢٤ - ٢٦)

ثم نصح الناس بقوله :

« لا تنس أن تظهر دوما بمظهر الواثق من نفسه ، غير المتردد في أمره ، لأن الافكار كالازهار والاثمار ، تنمو وتنضج بالتعهد والعناية ، وبما أن العقل حقل خصب ، فيمكنك أن تجني منه عوض الخيبة أثمار الفوز والنجاح » (ص ٣٣) .

« لا تسمح أن يدخل فكرك الا ما كان مقويا فيك روح الشجاعة والامل والثبات والعمل ، وبذلك تقوى على روح الخمول والتردد وتتمكن من النظر الى المستقبل نظرة صائبة . » (ص ٣٥)

« يزعم فريق كبير من الناس أن للمقدرات تأثيراً على نجاح الافراد ، على أن الحقيقة هي: أن المقدرات ليست الا الارادة القوية في اغتنام الفرص ، والتصميم على الاستفادة منها ، وكثيراً ما تعرض الفرص عينها على عدد من الناس ، فينجح الواحد ويخيب الآخر ، وما ذلك الا للفرق الكائن في الافراد بين الارادة القوية والتصميم ، والضعف والتردد » (ص ٣٧)

« إن اول واجبات المرء نحو نفسه هو حمله الناس على أن يعتقدوا فيه ، أنه مركب من أكثر من طين وماء — ان فيه فولاذاً — لان الرجال الذين سجلوا أسماءهم على صفحات التاريخ ، هم الذين كانوا يقررون ويعملون بكل دقة وثبات ، وبدون تردد واهمال » (ص ٣٨)

« ذلك لان الارادة هي السلسلة الفقرية في هيكل المرء الاجتماعي ، وهي البخار ، الذي يدفع الآلة ، الى تسيير القوة في الطريق التي يريدها ، انها الطريق الوحيد ، الذي يوصل الفرد الى المطمح الذي يرغب فيه ، لان من يقدر أن يجزم بما يريد ، ويثبت في جزمه ، يصل الى المحطة التي يقصدها ، مهما قام في سبيله من العقبات والمصاعب ، والمرء في هذه الحياة لايقدر ان يكون ساكناً ، فاما ان يكون دافعاً ، أو مدفوعا ، فالدافعون هم العظماء أصحاب الارادة القوية ، والمدفوعون هم العامة الضعفاء المترددون في طلب مايريدون . » (ص ٤٠)

وقال :

« ان الرجل المتردد الذي يقدم ثم يحجم ، الحاسب للقدر ، الخائف من نتائج الامور ، والمتشائم من بعض الاشياء العرضية ، والطالب للنصيحة ، من اي كان ، والتابع لنصيحة اي كان ، هو الذي لا يقدر في حياته ان يتم

امراً ، اما الرجل الجريء المقدم على الامور ، غير الناظر الا الى بلوغ غايته ، فهو الرجل الذي يصل الى مطمحه ويملك اعجاب الناس ».

« والثبات والتصميم : هما اللذان يرفعان بالفرص الى قمة النجاح والفلاح. ان عظماء الرجال لم ينتظروا الفرص لتقف امامهم ، وتعرض ذاتها عليهم ، وانما هم الذين قبضوا عليها بسرعة وسخروها لقضاء مطامعهم » (ص ٤٢)

« جرد المرء من الاعتقاد بنفسه . والتصميم في ارادته ، وعندئذ يبقى العوبة في ايدي المصادفات والبيئة ، أسير الزمان والاوهام ، لان الخوف المسبب عن عدم الاعتقاد بالنفس هو ألد أعداء المرء ، والرجل الحازم هو الذي يطرد من فكره هذا الوهم وينتزع عنه روح الشك بعدم المقدرة ، ويتأكد ، عوضاً عن ذلك ، ان الخالق أوجد فيه قوة تمكنه من مصارعة الحياة ، والتغلب على المصاعب فيها » .

« ان العالم يأخذنا بما نثمن به نفوسنا ، ويؤمن بالرجل الذي يؤمن بنفسه ، ولكنه لا يعتبر الرجل المتردد ، الرجل الذي لا يثق بمقدرته ولا برأيه ، الرجل الذي يطلب دوما نصيحة الآخرين ، ويجبن عن اتمام خططه » .

« من الخطأ الفاضح اتكالنا على غيرنا ، وعدم الاعتقاد بأنفسنا لاتمام ما نريده ، فعلى المرء ان يسعى لينال حتفه بكل جسارة ، وان يسعى دوما للوصول الى الامام مهما كانت الصعوبات » .

« ان الكون بكامله يحترم القوة والتصميم ، وانه ليقف خاشعا ، ليفسح ممراً للرجل الذي يسعى وراء غاية معلومة ، ويخضع دوما للرجل الذي يتمرد عليه ، ذلك الرجل الذي يفكر ويعمل لذاته ويثق بمقدرة نفسه . (ص ٤٤ – ٤٧)

« ان الارادة القوية هي التي مكنت نابوليون من قطع جبال الألب في منتصف فصل الشتاء ، وهي التي أوصلت فاركويت ودوى أمام مدافع العدو

وألغامه البحرية ، وهي التي قادت نلسن ، وكرنت ومئـــات القواد الى ساحة الانتصار » .

« ان هذه الاردة كانت الباعث الوحيد للاكتشـــاف والاختراعات ، والقوة الفردية التي مكنت بيري من رفع راية الخطـــوط والنجوم على قمة القطب الشمالي ، وسهلت أمام كوخ وباستور اكتشافاتها العجيبة ، وانقذت ملايين البشر من الموت قبل أوانهم . » (ص ٥٥ – ٥٦)

« لقد كانت غنائم العالم ولا تزال : نصيب الجريئين القوي الارادة ، والقوة ليست في العضلات والاعصاب ، وانما هي في الارادة والحزم ، انها كما ظهرت في اللورد بروكهام ، الذي عمل دون انقطاع مائة واربع واربعين ساعة » .

« وهي كما برهن عنها نابوليون : في أن يظل عشرين ساعة على ظهر جواده ، وفي ما عمله فرنكلين حينما خيم في الفلاة في فصل الشتاء ، وهو ابن سبعين سنة . وفي غلادستون حينما قبض بيد من حديد على دفة الامبراطورية البريطانية وهو في الرابعة والثمانين ، وكان هذا الداهية يمشي عدة أميال في النهار ، ويقطع الاشجار الضخمة وهو في الخامسة والثمانين » (ص ٦٧ – ٦٨) .

« اننا بقوة الارادة نتغلب على كثير من الاسقام والامراض ، وقد برهن الطب الحديث على ذلك ، حتى غدا هذا الامر فرعا من فروع الطب ، لا يستهان به » (ص ٧٠) .

« ان في الارادة : قوة مكنونة تساعد المرء على حفظ الصحة والشباب والجمال ، وتجدد فيه الحياة ، وتحفظه من الانحطاط ، والضعف الى سنين طويلة والذين عمروا في هذا العالم ، كانوا على الغالب من أقوياء الارادة ، ومن الذين تمكنوا من اتباع نظام محدود ساعدهم على البقاء طويلا » . (ص ٧٤) .

« لقد أعطى الله كل مخلوق : رأس مال من العقل والجسد ، ليعمل في

هذه الحياة ، وانه لغني : كل من ملك عقلا صحيحا ، وارادة قوية ، وقلبا حساسا » (ص ٧٧) .

« ان أعظم الاعمال قد تمت على ايدي الرجال ، الذين اتكلوا في اتمامها على مقدرتهم ، وقوة ارادتهم ، وثباتهم ، وكم من الذين ابتدأوا باعمال عظيمة واتكلوا بعد ذلك على مال موروث ، او مساعد خارجي ، فكان نصيبهم الخذلان » (ص ٧٩) .

« انه لمن الاهمية بمكان ، ان يعرف عنك أنك قوي الارادة ؛ ان ذلك يضعف من خصومك ويقودهم الى الاعتراف بزعامتك ، ولكن يجب ان تميز بين قوة الارادة والعناد ، ويجب فوق ذلك ان تكون عادلا في حكمك حتى ولو كان لك من القوة ما يحقق لك كل رغائبك ، وان لا تحجم عن التراجع ، عن أمر بدأت به ، اذا ما تبين لك خطأه » (ص ١٢٣) .

« ان قوة الارادة هي ، كما قلنا في أول هذا الكتاب ، قسم من قوة الخالق ، والرجل الرجل : هو الذي لا يتهيب الامور متى ثبتت لديه صحتها ، بل يدخل نيران التجارب ، بشجاعة وتصميم ، كما يدخل الحديد النار ، ليخرج منها سيفا قاطعا » (ص ١٢٩) .

ان في قول هذا الفيلسوف الامريكي حكمة بالغة ، تدل على قوة تفكيره ، وتمحيصه للأمور ، تمحيصا دقيقا ، أفاد الكثيرين من الذين كانوا مترددين في حياتهم ، لا يعرفون الطرق التي يجب عليهم سلوكها ؛ فوجههم توجيها منطقيا ، وأبعدهم عن الخيال والاحلام ، وقربهم من الحقيقة ، التي يجب ان تلازم العقلاء ، ليصلوا الى ما يبتغونه من السؤدد . وأقواله هذه تشابه أقوال علي (رض) .

ولنسمع ما قاله ، وما فعله غيره ، من الاوروبيين والامريكيين ، من الاقوال الحكيمة والاعمال الباهرة ، التي رفعتهم الى ذروة المجد ، فشادوا مدنية عالية ، نحن اليوم في حاجة ماسة الى الارتواء من منهلها العذب ، كما ارتوى آباؤهم من منهل حضارتنا العربية القديمة ، وذلك عن عدة مصادر قيمة .

جون ديوي :

قال الفيلسوف الامريكي جون ديوي في كتابه : (المدرسة والاجتماع)
« اذا وضعنا ما نتمنى موضع العمل ومضينا في تحقيقه بملء العزم والجد، لم يقف في سبيلنا مانع ، بل تغلبنا على عالم من الصعوبات ، واذا ما أعددنا لكل حال عدتها ، كانت الفطنة رائداً ، والحكمة قائداً ، وفي ذلك أيضاً تتوافر عوامل التهذيب ، والمعلومات ، ويزداد كنز الاخبار » .

ماتيوس :

وقال وليم ماتيوس: « اذا اردت النجاح فعليك ان تحصر فكرك وقواك ونفسك في عملك، وأنى لك ذلك، اذا لم تكن تعشق ذلك العمل . ان الفوز في معركة الحياة لا يكون بالمعرفة والاحوال فقط ، وانما يكون أيضاً بالثبات والاجتهاد وقوة الارادة » .

امرسن :

وقال امرسن :« اننا نقطع مراحل هذه الحياة ونحن مقيدون بسلاسل المقدرات الحديدية ، وقلما نعتبر خطانا ولو للنجاة بانفسنا ، ومع ذلك فان مطالعة كتاب مفيد ، او النظر الى تمثال شهير ، او سماع رجل عظيم ، يثير فينا القوة ، ويكهرب منا الاعصاب ، ويحول ما نعتقده من المقدرات ، الى ارادة حديدية ، لاننا لا نقدر أن نسمع أو نطالع شيئاً عن قوة الافراد الا تجددت فينا القوة » .

غلادستون :

وقال غلادستون : « الاقتصاد بالوقت ينيلك المكافأة حتى بعد الموت ، فوق ماتحلم به، وان ضياع الوقت، يرميك في ظلمات من الفاقة والاضطراب فوق ما تقدر على احتماله » .

لودندورف :

قال الجنرال لودندورف في مفكراته : « ان الثقة التامة والاعتقاد الجازم في النصر، هما الرابطتان اللتان تصل مابين الرئيس وجنوده »

نابليون

عندما وقف نابوليون بونابرت امام اللجنة الفاحصة في المدرسة الحربية ، سأله أحد الاساتذة : « ماذا تعمل لو حوصرت في موضع لا زاد فيه البتة ؟ » فأجابه : « لا أهتم بالامر اذا كان في ساحة العدو ما يؤكل »

ويلب

قال ويلب ، وهو أحد مشاهير الاقتصاديين : « ان الخسارة التي تلحق معظم التجار ، ليست متأتية عن قلة اختبارهم في الامور التجارية ، بل عن ضعف ارادتهم وترددهم » .

ميرابو :

قال ميرابو : « لماذا ندعو انفسنا رجالا ، اذا كنا لا نقدر ان نثبت في أمر نسعى اليه ؟ »

ديزرائيلي

وقال ديزرائيلي وكان في أول عهده في مجلس النواب يسمع ضجيج زملائه واحتقارهم له ، حينما كان يتكلم ، « سوف يأتي يوم تضطرون فيه الى الاصغاء الي » فأصبح بعدئذ رئيس وزارة انكلترا (سنة ١٨٦٧) .

هنري بوشر :

وقال هنري بوشر ، وهو أحد الذين اشتهروا بالدقة والاتقان والسرعة على سؤال وجه اليه :

« انني أشتغل أقل من سواي ، انما الفرق بيننا ، أنهم يعملون ثلاث

مرات : مرة في التأمل في كيف يجب ان يعملوا ، وهل يجب أن يعملوا ساعتئذ ، ومرة في العمل ، ومرة في مراجعة ما عملوه ، بينما أنا أعمل عملي بدقة وبدون تردد مرة واحدة ، وهذا لا يكون الا متى قرر المرء حصر قوة فكره في نقطة واحدة » .

ملتن :

قال ملتن :

« من يتحمل الشقاء كثيراً يجيد كثيراً » . وقال وقد ضعف كثيراً : « لا أحاول ان اعاند القضاء ، ولكنني لن أقف عن اتمام مقاصدي » .

فرانكلين :

وكان بنجمن فرانكلين يشتغل في أول حياته طباخاً بسيطا في مدينة فيلادلفيا ، وكان في المدينة صاحب مطبعة كبيرة وغني ، يزاحمه في أشغاله ، فدعاه فرانكلين يوما الى غرفته ، واراه قطعة خبز يابسة على منضدة في الغرفة وقال له : « لا تقدر ان تزاحمني ، لتخرجني من العمل الا اذا قدرت أن تعيش باقل من هذه » .

نابوليون :

في اليوم العاشر في ايار سنة ١٧٩٦ اقتحم نابوليون جسر لودي في وجه المدفعية التي كانت مصوبة مدافعها على جيشه ، ولكن قنابلها حصدت صفوف جيشه ، الذي كاد يتراجع ، لولا أن نابوليون ، دون أن يلفظ كلمة ، او يؤدب أحداً ، تقدم الى الامام ، فلحقه ضباطه وقواده الامناء ، وفي أقل من لحظة لحق به جيشه ، يسير فوق جثث إخوانه ، فتمكن من الوصول الى اماكن واقية ، قبل أن يغير رجال المدفعية النمساوية مرمى مدافعهم عن النقطة الاولى ، وبذلك فقد تركوا مدافعهم وفروا هاربين لا يلوون على شيء » .

جيدون بي :

وكان جيدون بي ، فقيراً في حياته ، يقضي أيام الشتاء حافي القدمين ، وكان يعمل ست عشرة ساعة كل يوم ، ثم غدا بقوة ارادته ونشاطه في مقدمة تجار نيويورك وحاكماً لها ، وعضواً في مجلس الامة .

ولما قال له ابواه: « ان النجاح في ميدان الادب ، لا يكون الا باحتلال المكان الاول فيه » أجابهما : « سأحتل هذا المكان الاول » وقد احتله .

بلزاق :

لقد كافح بلزاق — الكاتب الفرنسي الكبير والحقوقي — الفقر مدة طويلة ، وهو منصب على الكتابة والتأليف ، ولم يبتسم له الفوز الا بعد ان الف كتابه الاربعين .

أميل زولا :

وكان أميل زولا في بداية حياته فقيراً ، وهاك ما كتبه عن نفسه :

« كثيراً ما كنت أجوع حتى أعتقد انني سوف أموت جوعا ، اما طعم اللحم فلم أكن لأذوقه مرة في الشهر ، وقد عشت يومين على ثلاث تفاحات ، أما الوقيد فلم يكن لدي شيء منه ، حتى في أشد ايام الشتاء برداً . وكنت أحسب نفسي أسعد خلق الله ، حينما كنت أقدر أن اشتري شمعة أدرس على نورها ». وبذلك اصبح اديباً كبيراً .

نور ثقليف :

وكان اللورد نور ثقليف المولود عام ١٨٦٥ يكتب باجر بسيط ، وهو في سن الخامسة عشرة ويطوف في اوروبا ، ليكتب عنها ويعيش من وراء عمله ، ثم غدا من أصحاب الجرائد ، فاشترى سنة ١٨٩٤ هو وأخوه جريدة (ذي ايفننج نيوز) فأحياها بعد أن أوشكت ان تموت ، وفي سنة ١٨٩٦ أسس جريدة الديلي ميل ، وفي سنة ١٩٠٦ اشترى قطعة ارض كبيرة في كندا ، وأنشأ هناك معامل الورق ، وفي سنة ١٩٠٨ اشترى جريدة التيمس

وفي سنة ١٩١٨ عينته الحكومة الانكليزية رئيسا لادارة نشر الدعوة في المانيا والنمسا ، وذلك لتفكيك عرى اتحادهما ، فنجح بعض النجاح . وقد اغتنى وصار من أسخى الناس يداً ، وأسرعهم لمساعدة الالوف من الادباء المعوزين ، ولما توفي سنة ١٩٢٢ كانت ثروته بين مليونين واربعة ملايين ليرة انكليزية.

هاردنغ :

وهاردنغ رئيس جمهورية الولايات المتحدة الذي ولد سنة ١٨٦٥ ، كان في بداية حياته موزعا للجرائد ، ثم تدرج فأصبح صحافيا كبيراً ، وسنة ١٩٠٠ انتخب عضواً في مجلس ولاية اوهايو ، وفي سنة ١٩١٤ عين نائبا لحاكم تلك الولاية ، وفي سنة ١٩١٥ انتخب عضواً في مجلس الشيوخ وفي سنة ١٩٢٠ انتخب لرئاسة الجمهورية .

كارنجي :

هبط أندره كارنجي الاسكتلندي ، الولايات المتحدة ، لا يملك شيئاً من المال ولا يعرف من العلوم الا مبادىء القراءة والكتابة ، وقليلا من الحساب ، وبدأ يعمل هناك بجد ونشاط ليلا ونهاراً ، معتمداً على ثباته وقوة ارادته ، وبعد ان اقتصد شيئا من المال ، صار يعمل في استخراج الحديد ، وقد قال آنئذ : « ان خسرت ثروتي الضئيلة فسأعود كما كنت ، اما اذا ربحت ، فسأقف على عتبة السعادة » وقد توصل بجده وجهوده الى السعادة ، وغدا من كبار الاغنياء ، ولقب بملك الحديد ، ولم يمت حتى اشتهر باحسانه ، وتشجيعه للعلوم والآداب ، وقد بنيت محكمة العدل العليا في لاهاي بماله .

عالم كبير

قال أحد مشاهير العلماء :

« لو كان لي من العمر عشرون ربيعاً ، ولم يكن لي من الحياة الباقية ، الا عشر سنين ، لصرفت التسع الاولى في جمع الثبات ، والقوة ، والارادة ، استعداداً للسنة العاشرة . »

كلارك :

وضع الامريكي جيمس كلارك ، وهو من الطبقة الفقيرة ، وعامل في أحد المصارف: رسم البيت الذي وطد العزم ان يكون له في مستقبل الايام ، وضعه بكل دقائقه ، حتى الرياش ، وانصب على عمله ، بدقة ونشاط ، وبدون تردد ، فما بلغ الخامسة والثلاثين من سنه ، حتى كان رئيس المصرف ، الذي ابتدأ به عاملا ، ومديراً لعشرات غيره ، وصاحب البيت الذي تصوره وهو فتى .

زيموراي :

هاجر صموبل زيموراي ، من رومانيا الى الولايات المتحدة ، وهو فتى معدم غير متعلم ، لم يخطر له أن يسأل « ما الفرص المتاحة لي » بل نظر الى السفن التي تحمل الموز راسية على أرصفة نيو اورليانز .

فقال في نفسه : « سأفعل ما فعله غيري من قبل » ثم أخذ يبيع الموز على عربة يطوف بها في الطرقات كما فعل غيره من قبل . وفي سنة ١٩٣٠ باع سفن الموز والشركة التي أنشأها الى « شركة الفواكه المتحدة » في مقابل ٣٠٠ الف سند من سندات تلك الشركة ، وها هو اليوم ، قد أصبح المدير العام لشركة الفواكة المتحدة .

بلات :

نظر جولد بلات واخوته الى المخازن العظيمة التي أنشأها مارشال فيلد في شيكاغو ، فلم يقولوا لانفسهم هيهات لمثلنا ان ينشىء مثل هذه المؤسسة الضخمة بل ربما قالوا لانفسهم : « ان آل جولد بلات يستطيعون أن يعملوا ما عمله فيلد » ولذلك لم تمض بضع سنوات على ابتدائهم العمل حتى اشتروا مخزن ويفس الكبير من مارشال فيلد ، ثم أنشأوا سلسلة من أسرع المخازن الامريكية نمواً وانتشاراً » .

لنكولن :

لقد أخفق ابراهام لنكولن (رئيس جمهورية الولايات المتحدة الاسبق) في أعماله التجارية ، عندما كان شابا ، ولكنه اشتغل سبعة عشر عاما ليفي ديونه المتراكمة .

وعندما خاض معركة الانتخابات النيابية لاول مرة ، مني بالهزيمة ، وتبع هذه الهزيمة فشـــله في الدخول الى مجلس الشيوخ ، على انه عاد فخاض الانتخابات مرة أخرى ، ولكنه الآن لم يهزم ، وما كان ينبغي له ذلك ، طالما كان لا يزال محتفظا ، برغبة متوقدة ملتهبة . »

تشرشل :

كان هذا الشيخ جباراً ، وقد عمل وهو في السبعين من عمره ، اعمالا تشرف أمته أبد الحياة . لقد بعث في انـكلترا روح القوة والثبات ، فصارت تحارب المانيا وحدها ، ثم جمع اليهـــا امريكا ، وظل يحارب مؤمنا بالنصر حتى تكللت آماله بالنجاح ، وفازت ارادته ، فوزاً باهراً .

* * *

لقد نجح هؤلاء ، حتى بلغوا صياصي المجـــد ، لانهم كانوا دقيقين في كل اعمالهم ، وكانوا يحترمون الثقة التي ألقيت ، او ألقوها هم على عاتقهم ، وكانوا يعدون ويفون ، ويقولون ويحافظـــون على أقوالهم ، ويقررون العمل وينفذونه بحزم واستقامة ، وكانوا يضعون نصب أعينهم الهدف الذي قرروه ، ويكرسون انفسهم ، وافـكارهم ، ووقتهم ، ومقدرتهم ، للوصول اليه ، مهما ظهر في وجههم من العوائق .

هذا ما يجب ان ينتبه اليه العرب .

كيف تقوى إرادة العربي

لقد بينت في الفصول السابقة أعمال وأقوال عظماء العرب، ـ التي يقرأ المرء فيها تاريخ العرب الصحيح ، ومجدهم التليد ـ والاوربيين والامريكيين ، وبينت ما لقوة الارادة التي كانت كامنة في نفوسهم من الاثر الكبير في نجاحهم ، واني لأختم الآن كتابي ، بتوجيه العربي ، الى تقوية ارادته ، لان قوة الارادة ، تقوى بالمران ، وتضعف بالاهمال ، فعليه أن يتمرس على استخدام ارادته تدريجاً ، ويسعى كل السعي الى تقويتها ، لانها هي التي أوصلت آباءه الى شواهق المجد ، وسماء المعالي ، وهي التي تعمل عملها اليوم في الامم الغربية ، حيث غدا ابناؤها : ملوك البر ، والبحر ، والسماء ، والصناعة ، والتجارة ، والعلم .

والعربي لا تزال فيه بقية باقية من تراث آبائه ولا يزال في أعماقه كنوز من النشاط والهمة وقوة الارادة ، التي تغلب بها : على الالم والبؤس والشقاء واليأس عدة قرون ، فاذا كان الجهل ركب مراكبه فيه ، في تلك القرون الطويلة ، فما عليه الا أن ينتبه اليوم ، ويختبر نفسه بنفسه ، فيرى فيه الطموح الى المجد ، والى المال ، والى السعادة والهناءة ، وأن النشاط لا يزال يلازمه ، والشجاعة حليفته ، وأنه اذا ما غذى عقله بالعلم الصحيح ، وفكر بالامور بعقل ثاقب ، ونشط في تنظيم الخطط الناجحة ، فعليه ان يثبت الثبات المصمم في تنفيذها ، ويقف حائلا في وجه الظروف التي تجابهه ، ولا ييأس اذا ما عاقه عائق ، في بعض الاحيان ، لانه ينبهه ، ويقوي فيه الصبر والتحمل والمقاومة ، حتى يتغلب عليه .

والطريقة التي تقوي الارادة في العربي ، هي كما يلي :

١ — يجب تقسيم ساعات الحياة : ساعات للنوم ، وساعات للعمل ، وساعات للراحة والسلوى ، فينام المرء ساعات معينة لا يتعداها ، ويحافظ على مواعيدها ، ويعمل في الساعات المخصصة للعمل بدقة ونشاط ، أما ساعات الراحة والسلوى فيجب ان يتلهى بها ، ويمكن أن ينقص تلك الساعات ويزيدها في بعض الاحيان أو الفصول .

٢ — يجب وضع قاعدة نصب عينيه ، وهي أن يعمل كثيراً ، وأن يفوق غيره في العمل ، ليربح المال ويشتهر ، ولو بعد عدة سنين .

٣ — أن يقرأ احسن ما كتب عن رجال الحزم ، والنشاط وقوة الارادة في العالم ، ليعلم سر نجاحهم ، وليكتسب من أعمالهم الصالحة ما يفيده في دنياه .

٤ — يجب التفكير جيداً بالخطط المفيدة ، ثم السعي وراء تنفيذها ولو بعد حين ، وهذا ما يجعله يتمرن على تقوية ارادته .

٥ — يجب تجنب معاشرة المترددين في حياتهم ، الضعاف في تفكيرهم ، المتقلبين في مبادئهم ، لانهم بلية عليه ، وعلى أنفسهم ووطنهم ، ويجب أن يحافظ على النظام محافظة دقيقة ، وينظم حياته تنظيما عن عقل وحكمة ، ثم التمرن على الطاعة : طاعته لآبائه ، وأساتذته ، وأوليائه في العمل ، وحكومته العربية الصالحة ، ليصبح مثالا يحتذى لأولاده ومرؤوسيه على ذلك .

٦ — يجب الاعتقاد أن السعادة في العمل ، والشقاء في الكسل .

٧ — يجب أن يصدق في الوعود ، أي متى وعد في شيء يجب عليه تنفيذه ، ولكي يتمكن من التنفيذ ، عليه ان يفكر بما يعد مليا ، قبل منحه لأحد ، فاذا رآه قابلا للتنفيذ وعد به ونفذه ، ولو بخسارة تنتابه .

٨ — يجب القيام بالواجبات التي عليه نحو نفسه ، بحيث يكفل الراحة والاطمئنان لها ، ثم يعنى عناية فائقة بترويض جسمه ، وآكل الطعام المغذي ، وعليه القيام ايضا بما ينبغي نحو أهله ، وأصدقائه وأمته بكل دقة .

٩ - يجب ان يكون جلوداً في حياته ، فالمرء الذي يتحمل اكثر من غيره ولو بلي بالشقاء ، يكون النجاح حليفه ، في أكثر الاحيان . اذ أن الشقاء طريق للسعادة ، والسعادة طريق للشقاء ، لان حياة التواكل تمتد الى السعادة ، عن طريق ابناء المجد وأحفاده ، فتنقلب السعادة شقاء .

١٠ - يجب الوثوق بالنفس ، والاعتقاد ن كل شيء ممكن في الحياة ، وقد قال ابو بكر (رض) : (ما مات حق وأراءه طالب) .

١١ - يجب ان يهتم بالتعليم ، ليقوي الثقافة فيه ، ثم حصر الفكر والقوى والنشاط في العمل ، وهذا سر النجاح .

١٢ - يجب أن تكون ثمة حكومات عربية لتوجيه الامة توجيهاً صحيحاً نحو الحرية ، والعدالة ، والنشاط ، وحسن التفكير ، والعمل ، بما تفعله هي ، وبما تلقنه في المدارس ، لان مأساة فلسطين أثبتت أن الحكومات العربية ، كانت نائمة ، وغير موجهة للعرب ، توجيها صحيحا ، بل لم تكن موجهة لرجال أعمالها ، في دوائرها .

١٣ - يجب منع التزاوج بين العربي وغير العربية ، والعربية وغير العربي لان صفاء دم العربي ، يستبقى فيه البقية الباقية من التراث العربي الجبار .

١٤ - يجب ان يبتعد عن روح التشاؤم ، وان يكون متفائلا دوماً ، وان يخلق روح الفرح والمرح في نفســـه وبيته ، وبين اصدقائه ، وليذكر دوماً هذا البيت :

ما مضى فات ، والمؤمل غيب ولك الساعة التي انت فيها

وقول المتنبي :

لا أشرئب الى ما لم يفت ابداً ولا أبيت على ما فات حسرانا

١٥ - يجب ان تكون الارادة بارزة في غنائنا ، وشعرنا ، وكتبنا ، وأقوالنا ، وأفعالنا ، وفي مدارسنا ، ودوائر حكومتنا .

صفوة القول :

وصفوة القول : اننا نحن العرب في حاجة الى ارادة جبارة ، نستخدمها لمصالحنا الخاصة والعامة ، لنصبح قوة في التفكير والعمل ، ونعيد مجدنا الماضي.

وعندئذ ، نجد في افرادنا حرمة لمجموعنا ، وفي مجموعنا رعاية لافرادنا ، ونلمس العزة والكرامة ، التي تمتع بها آباؤنا ، ويتمتع بها اليوم كثير من الغربيين ، ونعمل نجد في حقولنا الاقتصادية لنغنى ، وفي الميدان الاجتماعي ، لننهض بسرعة .

وعندئذ نجد الغربيين يحسبون حسابا لنا ، ويحترمون سيادتنا واستقلالنا ويسعون وراء خطب ودنا ، ومحالفتنا ، وهذا ما يجعلنا مرجحين في الغرب والشرق ، وقوة هائلة تظاهر الضعفاء في كل مكان ، ليحصلوا على حريتهم وسيادتهم ، وينالوا حقهم في بلادهم ، وفي ذلك رضاء لوجداننا العربي.

هذا هو هدفنا الاسمى نحن العرب ، وهذا ما يجب ان نعمل لاجله ، ونقاوم كل من يحول بيننا وبينه ، بايماننا ، وكل قوتنا .

وهذا ما أراه مفيداً للامة العربية ، التي أرجو أن تهتدي الى اوضح الولائج وأبلج المناهج ، لتفوز على الدهر الذي كان غلبها ، والامم التي حالت بينها وبين مركزها السامي .

وعندئذ ، تصبح سراجا منيراً وهاجاً ، تلمع أضواؤه في كل مكان وزمان.

وعندئذ نعيش نحن العرب سعداء في هذه الدنيا التي لا يعيش فيها الا العاقل ، القوي ، المجد ، ونصبح بقوة ٣٠٠ مليون نسمة ، كما أن انكلترا التي لا يزيد نفوسها عن ٥٠ مليوناً ، وهي اليوم بقوة ٥٠٠ مليون نسمة .

تصويب

صفحة	خطأ	صواب
٩	تفكير	تفكيراً
١٦	رقم الصفحة ١٤	رقم الصفحة ١٦
١٧	يلغوا	بلغوا
١٨	الاراضي الذي	الاراضي التي
٢٣	الفوم	القوم
٢٣	عجيب	عجاب
٢٣	بدأ	بده
٢٥	يؤدى	يودى
٢٨	كتابه	كتابة
٢٨	قصائده	قصائد
٢٩	وثابا	ونابا
٣١	واستفقر	واستغفر
٣٣	عشومها	غشومها
٣٩	قسطاط	فسطاط
٣٩	عبد فهمي	عبد السلام فهمي
٤٠	بالقسطاط	بالفسطاط
٤١	تجاور	تجاوز
٤٣	حماه	حمته
٥٥	الى على	لعلى
٥٧	من قبلنى	من قبلى
٥٨	نصيحته	لنصيحته
٦٧	فيشير	فيثير
٧٢	عدد وعدده	عدده وعدده
٧٢	لفيّات	لفتيّات
٧٤	اتبعوهم	اتعبوهم
٧٤	ابن سرح	ابن ابي سرح
٧٥	فقيراً	فقير
٨٥	بخط	بخطه
٨٦	ابن يوسف	بن يوسف
٩٨	من عنده	من غده
١١٩	الشرقية	الشرعية

كتب المؤلف

المطبوعة :

١ ـ الضائقة الاقتصادية السورية
٢ ـ واجب النائب
٣ ـ ايها العرب اتحدوا
٤ ـ الشباب العربي
٥ ـ العلويون
٦ ـ القضايا الاقتصادية الكبرى
٧ ـ الارادة

تحت الطبع :

٨ ـ عظمة المرأة العربية
٩ ـ كيف نريد المرأة العربية ؟
١٠ ـ الضرائب السورية
١١ ـ كيف تنهض بلاد الشام اقتصاديا؟
١٢ ـ كيف يحمي العرب سيادتهم؟
١٣ ـ علي بن ابي طالب في المرآة
١٤ ـ عبقرية الامام علي
١٥ ـ شركاتنا الاقتصادية
١٦ ـ بلاد العرب للعرب
١٧ ـ نكبات الشعوبيين في العرب
١٨ ـ سر النجاح الاقتصادي
١٩ ـ ادارة الدولة
٢٠ ـ كيف ننظم دمشق ونغنيها ؟
٢١ ـ الغذاء والكساء ولماذا أهمل ؟
٢٢ ـ من أضاع فلسطين ؟

300

الثمن ٤٠٠ ق . س

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

(NEC)
DS36
.78
.S537
1950